13 me Année No. 636

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 10 - 9 - 1945

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٣٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

تنافس المستعمرين

فى الشرقين الأدنى والأوسط

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

من توخى أن يعرف الحقيقة كلها فى حوادث هذين الشرقين السياسية استدعى هذا الغرض النبيل أن يرجع صاحبه ولو قليلا إلى التاريخ : لأن الزمن سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الحاضر بالماضى ارتباط المسبب بالسبب ، ويرتبط بالمستقبل ارتباط السبب بالمسبب ؛ ويستدعى هذا الغرض أيضاً كل الالتفات إلى عوامل المصالح الاستعمارية والسياسة الدولية فى الشرق

ومهما يكن شأن التطورات الاجتماعية والانقلابات السياسية المختلفة ، وشأن التوازن الجديد بين الدول العظمى التى تتوزع بأعيننا وأسماعنا أقطار هـذه الكرة الأرضية وشعوبها ؛ ومهما يكن لتقدم العلم والفن ولتطبيقاتهما العملية من أثر فى النفوس والعقول ، يبق التاريخ بأنواعه الشـتى مرآة الحياة البشرية ، ونبراساً ينير البصائر لبقاء السنن الأساسية العاملة فى البشر ما بقيت جبلتهم على ما هى عليه منذ نشأة الإنسان الأول . وليس يوجد سبب غير وهمى ، وإن صدق أفراد فضلاء فى تمجيد المثل العليا ، وفى اعتقادهم سمو الإنسانية نحوها ، يثبت أن القوى سوف لا يستغل الضعيف ولا يحاول أن يبقيه مقيما على الضعف بالنسبة إليه ليحفظ قدرته ومصلحته بالقوة أو بالتمويه والرياء

* * *

فمن التاريخ أن الاسكندر الذى مزق امبراطورية الفرس لم يدم فتوحاته ، ولكن كان من نتائجها أن عرف العالم الغربى طرقاً إلى الغزو ، وقد التفت إليها نابليون وهو يضع مشروعاته المختلفة لمحاربة الإنجليز فى الهند . أما الرومان فقد أظهرت معاركهم فى الشرق الأدنى قيمة دجلة والفرات من حيث هما طريق إلى غزو فارس والخليج الفارسى والهند . وأدركوا أن الثروات الأسيوية لم تكن فى جزيرة العرب ولا فى أثيوبيا ، بل كانت تنقل من الهند فاتجهت جهودهم إلى التسلط على شواطئ هذه الجزيرة

قام اليونان والرومان وحدهم فى أيامهم بالتوسع الأوربى فى الشرق الأدنى . على أن أمم أوربة الغربية كانوا متصلين بآسية منذ عهد قديم بوساطة المسيحيين الكثيرين الذين ظلوا يحجون الأماكن المقدسة . ولما جاءت الحروب الصليبية نشأت إمارات مسيحية فى سورية ومملكة فى القدس . وكان لفرنسا شأن كبير فى هذه الحروب ، وهى تعد هذا الشأن أصل ما تدعيه سياستها من ذكرى وآثار تتعلق بآسية الصغرى وسورية وفلسطين ومصر ، ودخلت تلك الدويلات المسيحية فى معاملات تجارية ، فأخذ تجار جنوة والبندقية وبيز ومرسيلية يتاجرون فى الثغور السورية

ثم جاء استيلاء العثمانيين على قسطنطينية ضربة شديدة فى تجارة جنوة . ولم تكن فرنسا ولا انجلترا ولا هلانده ولا البرتغال

قادرات يومئذ على منافسة البندقية فى الشرق ، فاحتكرت هذه الجمهورية التجارة فى جميع البحر المتوسط احتكاراً عملياً . وقد أيد ثراء البندقية العظيم أحاديث عجائب أذاعها رجال الدين والتجار الذين حملوا أنفسهم على أخطار التوغل فى آسية من مفتتح الحروب الصليبية ، ووصفوا الوفر من الثروات فى بعض جهات القارة الأسيوية ، تحاول شعوب أخر أن يستدركوا ما أصبح عليه البنادقة من احتكار التجارة الشرقية ؛ ولذا عالجوا افتتاح طريق جديد إلى الهند من الشرق أو من الغرب . وأحدثت سياحة فسكوده جامه انقلاباً تاماً فى علاقات أوربة بآسية ، فقرر البرتغاليون أن يحتكروا كل تجارة فارس والهند وأرخبيل الملايو احتكاراً عملياً بتحويلها إلى لشبونة من طريق رأس الرجاء الصالح الجديد ، ولما ضمت أسبانيا البرتغال انتقلت تجارة المحيط الهندى شيئاً فشيئاً إلى الهلانديين ، ولم يلبث الإنجليز والفرنسيون أن نافسوهم فى الخليج الفارسى ، ثم تنافس الفرنسيون والإنجليز من ذلك العهد على طرق الشرق الأدنى التجارية

إن آسية وأفريقية أوسع ميادين الاستعمار ، وهما أسواق ومستغلات ، والهند أعزها لدى انجلترا ، وقد وضعت مشروعات فرنسية لغزوها على عهد بونابرت وقبله . فأصبحت الهند فى القرن التاسع عشر العامل الموجه للسياسة البريطانية فى الشرق الأدنى . كانت بريطانيا تخشى على الهند غزوات المستعمرين من طرق سورية وقزوين ونهر أكسوس ، فلم تنتفع قبل الحرب الكبيرة الماضية إلا بالطريق البحرى ؛ وظلت مدة ضعف الدولة العثمانية وطيلة القرن التاسع عشر تحول دون الانتفاع بالطرق الأرضية : إذ اجتهدت فى إبعاد فرنسا عن مصر وسورية وبلاد العرب ، وفى منع روسيا من تثبيت قدمها على الخليج الفارسى ، ومن الاستيلاء على إيران والأفغانستان وبلوخستان ، ونحّت بعزم كل دولة منافسة عن هذا الخليج . وكانت فى آخر القرن الماضى قد أتمت احتلالها المواقع الحربية فيه : فجعلت خمسة عمال سياسيين من إنجليز الهند ساهرين منذ تلك الأيام على المصالح البريطانية فى مسقط والكويت والبحرين وبندر عباس وبندر بوشير ، وسلطة هؤلاء العمال تعتمد على أسطول صغير قوى وفرقة من الجنود الهندية معسكرة فى جسق بمدخل الخليج الذى ردّته بذلك بحيرة انجليزية ، فصار ميسوراً على الدوام أن تجتازها حملة انجليزية تسرع من الهند صوب شط العرب لتنقض من خلف وجنب معاً على كل جيش يقصد الهند من طريق الفرات . وقد حصلت انجلترا من تركيا بالمعاهدة السرية المعقودة فى ٤ يونية عام ١٨٧٨ على حق الحلول بقبرص ، وهذه الجزيرة موقع حربى من الطراز الأول يسمح لها بمراقبة طريق الفرات والإشراف على خليج الإسكندرونة وصد الروس عن طريق فلسطين ، إذ كان الممثلون الروسيون يطلبون حماية الأرثوذكس فيها برغم معاهدة عام ١٨٥٦ التى ختمت حرب القرم

طال عهد التنافس بين انجلترا وفرنسا فى الشرق الأدنى ، ولم ينته فى مصر إلا بالاتفاق الودى عام ١٩٠٤ ، لكن هذا الاتفاق لم يحدد مصالح الدولتين فى سورية . لذا ظل رجال الاستعمار البريطانى والموظفون الإنجليز فى مصر يعدون أن سورية سوف تصير ملحقة بمصر . وقد كانت سياحة السير ألدن غورست عام ١٩٠٩ فى سورية المطموع فيها سبب إشاعة اضطرت فرنسا إلى طلب بيان عنها من انجلترا . واتفق الدولتان فى ديسمبر عام ١٩١٢ على مصالحهما فى ذلك القطر ، وحصلت فرنسا بعد من تركيا على امتيازات أزعجت بعض الإنجليز ، فقام السير مارك سايس فى مجلس العموم يشكو من تأمين فرنسا باتفاق عام ١٩١٢ ، ومن الطريقة التى أولت بها هذا التأمين . فأجاب وزير الخارجية البريطانية بأن الحكومة باقية على سياسة حفظ كيان الامبراطورية العثمانية ، وإن ذلك التأمين إنما كان تهدئة لفرنسا ، ولم يقصد به غير مصالحها الاقتصادية فيما يتعلق بالسكك الحديد ، ولم يكن فى الأمر تعيين مناطق نفوذ ؛ وإن الحكومة لم تفعل ذلك إلا تكذيباً لشائعة أراد بها ناشروها أن يثبتوا أن سعى بعض الموظفين البريطانيين مآله ضم سورية إلى مصر

ويوم نهضت ألمانيا نهضتها لم تلبث أن نظرت بعين الاستعمار إلى الشرق ، خصوصاً بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ ، حيث أيدتها انجلترا ، إذ كانت مشغولة بإبعاد روسيا عن استنبول قبل كل شىء . وسرعان ماوضعت ألمانيا برنامجها لتحقيق أطماعها على مبدأ « الزحف إلى الشرق » Drang Nach Osten . وهو برنامج بدأ يتضح منذ حصلت على امتياز السكة الحديد البغدادية ..

لم تدرك ألمانيا اقتسام أفريقية ، فاتجهت إلى آسية حيث أرادت أن تتخذ مناطق امبراطورية ، أو شبه هند ألمانية تجعل الأنضول وقيلقية وما بين النهرين جميعاً أرضاً جرمانية ومستعمرة عظيمة للاسكان يمكن أن تنتشر فيها الثقافة الألمانية ، وأن تصير أيضاً أسواقاً كبيرة الشأن لمصنوعات ألمانيا . وقد كانت مصانعها راغبة فى إنتاج أطنان من القضبان والمواد المختلفة لإنشاء سكة حديد عظيمة تخترق آسية الصغرى إلى الخليج الفارسى ، وترسل فروعها إلى البحر المتوسط والقوقاز وإيران

رأت ألمانيا ، فى سبيل تنفيذ برنامجها ، أن توحى إلى السلطان عبد الحميد أنها صديقته الوحيدة ، وأن مستقبل دولته فى البلاد العربية وفى ظل الخلافة ، إذ كان يومئذ يشعر بانهيار نفوذه فى أوربة ، ويجد أن كل دولة غربية اقتطعت حصة من امبراطوريته فسعت ألمانيا فى أن تجعل نفسها الحامية المتعينة للامبراطورية العثمانية ، وأن تجتهد فى توطيدها بتشجيع الجامعة الإسلامية ، وإعادة تنظيم الجيش التركى وإسداء المشورة للسلطان فى سياسة سكك حديد الغرض منها تسهيل التعبئة واحتشاد الجنود فى مكان الحاجة

أما الأمانى الروسية ومصالح انجلترا وفرنسا المستديمة منذ أجيال فى الشرق الأدنى ، فلم تكن نية الألمان أن يصدموها رأساً ، ولذا لم يذكروا الاستعمار ولم يكن فى كلامهم الرسمى سوى إحياء الموات فى أملاك عثمانية وتحويل ذلك القواء الفسيح ، بعد خصب واكتظاظ بالسكان إلى أراض اقتصادية ، فتستفيد حينئذ مصالح الجميع من عمل ألمانيا . ومتى يمتد الاستعمار الألمانى من بعد إلى سهول ما بين النهرين الكائنة ، وتصل السكة الحديد إلى الخليج الفارسى ينادى القيصر يومئذ بأنه السيد الحقيقى للامبراطورية العثمانية ويعلن حقوقه فى آسية الوسطى

غير أن انجلترا لم يكن فى استطاعتها أن تقبل مد السكة الحديد من بغداد إلى الخليج الفارسى ، وهى تجتهد منذ قرن فى أن تجعله بحيرة انجليزية ، ولم تكن فى غناء من جهة أخرى عن الأشراف على مصب شط العرب لضرورة أن تمر به السكة الحديد التى كانت تحلم بمدها إلى الهند . من أجل ذلك حالفت الشيخ مبارك ، شيخ الكويت ، فنزل لها سراً عن خور عبد الله . ولما كانت ألمانيا تريد أن تبلغ البحر بأى ثمن ، فقد أوعزت إلى تركيا أن توطد سيادتها الفعلية على الكويت بمساعدة ابن الرشيد . وبالغ السلطان عبد الحميد فى تقدير التأييد الألمانى له ، فحاول عام ١٩٠٠ أن يثبت سيادته عملا بتلك المشورة . لكن انجلترا كانت ساهرة ، فاضطرت الطوابير التركية إلى الانسحاب بأمر من قائد أسطول الخليج الفارسى ، وبقيت الحال على ما كانت عليه ، وعادت تركيا عام ١٩٠٣ ، فاحتلت جانباً من الشاطئ شمالى الكويت ، فقابلت انجلترا ذلك عام ١٩٠٣ بإعلان حمايتها لهذا الثغر ، وعينت وجهة نظرها بالدقة تلقاء المطامع الألمانية ، إذ قال اللورد لانسداون فى ٥ مايو عام ١٩٠٣ بمجلس اللوردات : « إنى أقول غير متردد إننا نعد قيام دولة أخرى بإنشاء قاعدة بحرية أو ثغر محصن فى الخليج الفارسى تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية ، ونحول دونه حقاً بكل ما لدينا من وسائل »

ثم عقدت انجلترا اتفاقاً مع تركيا فى الربيع من عام ١٩١٤ عين البصرة مكاناً تنتهى فيه السكة الحديد البغدادية ؛ وشرط الاتفاق أن يكون لانجلترا فى مجلس الإدارة بشركة هذا الخط عضوان يشرفان على كل ما يتعلق بإدارة مرحلته بين بغداد والبصرة ؛ واعترفت انجلترا فى الاتفاق بسيادة تركيا على ثغر الكويت بشرط أن يحترم السلطان ما يتمتع به شيخه من الاستقلال الذاتى ، ويحترم أيضاً ما بين الشيخ وحكومة لندن من الاتفاقات ؛ ونزلت تركيا عن حقوقها على جزر البحرين وشبه جزيرة قطر ، وأراضى عمان حتى مسقط ؛ وشرط الاتفاق أيضاً لانجلترا حرية الملاحة على دجلة إلى بغداد ، وحق الإنارة ووضع علامات المخاطر ، وحق القيام بأعمال البوليس أى حفظ النظام والأمن ، وذلك كله فى النهر وفى الخليج جميعه

ولما أوضحت الاتفاقات الدولية الموقف إيضاحاً كافياً رأت الحكومة الإنجليزية أنها أصبحت بعد ذلك على استعداد لمباحثة الحكومة الألمانية رأساً ، ورغبت فى عقد اتفاق مع ألمانيا ، فكلفت هذه البرنس لخنوفسكى سفيرها فى لندن أن يفاوض السيرجراى ، وتقارب وجهتا النظر قبيل الحرب الكبيرة الماضية

تقارباً يفتح باباً للأمل فى عقد اتفاق شرقى ومعاهدة استعمارية بين ألمانيا وانجلترا. وقد عقدت هذه المعاهدة فى ١٥ يونية عام ١٩١٤ وأشار إليها السير جراى فى مجلس العموم فى ٢٩ من الشهر عينه ، وسميت معاهدة بغداد . وقد اعترفت فيها انجلترا لألمانيا بامتيازات عظيمة ، إذ أصبح لها حرية التصرف فى السكة الحديد الأنضولية وسكة بغداد ، مع احتفاظ انجلترا بجميع حقوقها السابقة فى هاتين المنطقتين . لكنها نجحت فى إبعاد منافستها إبعاداً مؤقتاً على الأقل عن شواطئ الخليج الفارسى . فكان من الممكن إذن أن تنجح يوماً فى تحقيق مشروعاتها المتعلق بإنشاء سكة حديد امبراطورية انجليزية تصل بور سعيد بالكويت ، ثم تمتد على الشواطئ الإيرانية إلى الهند . ويقول البرنس لِخْنوفسكى فى مذكراته : « كان الغرض من هذه المعاهدة فى الواقع تقسيم آسية الصغرى « مناطق نفوذ » ، غير أنه كان واجباً أن نتفادى من استعمال هذه العبارة بأعظم عناية مراعاة لحقوق السلطان »

ولا شيء أدل من اعتراف البرنس لخنوفسكى هذا على ما يجب أن يعرف الشرقيون من معنى صداقة الدول المستعمرة ومعنى التصريحات السياسية المتعلقة بحفظ كيان الامبراطورية العثمانية كتصريح وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم بشأن تأمين فرنسا فى اتفاق عام ١٩١٢ المتعلق بسورية ؛ وليس أوضح من ذلك الاعتراف فى بيان ما يجب أن يفهم الشرق من معانى الاستقلال وما شاكل هذه الكلمة على ألسنة السياسات الاستعمارية

ولا شك فى أن الاتفاق الثلاثى بين فرنسا وروسيا وانجلترا جعل غليوم الثانى على يقين من أنه لا يستطيع تحقيق أطماعه فى الشرق بغير التجاء إلى القوة ، لكنه مع عزمه على الحرب كان راغباً فى تأجيل موعدها إلى اليوم الذى تصبح فيه قوة الأسطول الألمانى مساوية قوة الأسطول الإنجليزى . أما الاتفاقات الشرقية التى قبل أن يعقدها ، فكان غرضه منها تأخير أجل الحرب على أمل أن يفك عرى ذلك الاتفاق الثلاثى بسياسته . بيد أن الحرب البلقانية الثانية انتهت بمعاهدة بخارست المعقودة فى ١٠ من أغسطس عام ١٩١٣ ؛ وقد وزعت معظم الأراضى العثمانية فى أوربة على أكبر دول البلقان شأناً ، خصوصاً سربيا واليونان ، فسببت بذلك اندفاع ألمانيا فى سبيل الحرب وانجرار امبراطورية النمسا والمجر معها : فقد كان الامبراطوران يتوقعان أن يسحق الترك سربيا واليونان ، فإذا بهاتين الدولتين تصبحان سداً أمام ألمانيا فى طريق الشرق وأمام امبراطورية النمسا والمجر فى طريق سلانيك وازدياد قدرة سربيا يمنع تنفيذ برنامج التوسع الجرمانى بالحيلولة دون كل وصلة تجتاز البلقان بين أوربة الوسطى والامبراطورية العثمانية . من أجل ذلك لم يكن فى وسع الامبراطوريتين الجرمانيتين أن تعدا معاهدة بخارست نهائية ، فلم يبق بد من الحرب فى أجل قريب . ولذا اتخذتا حادث سرجيفو حجة لإشعالها ، لأنهما كانتا متأهبتين لها . ويقول السفير مُرجَنتو فى مذكراته عام ١٩٠٩ : « الآن يعرف العالم إن لم يعرف عام ١٩١٤ أن ألمانيا تعجلت الحرب لتهدم سربيا وتتولى الإشراف على الأمم البلقانية وتحول تركيا إلى دولة تابعة لها ، وبذا تبتنى امبراطورية شرقية واسعة ، لو بنيت لكانت أس سيادة عالمية لا حد لها »

محمد توحيد السلحدار

أول صلاة فى الاسلام
صــلاة الركعتين
للدكتور جواد على

جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يخلو وحده بغار حراء شهراً فى السنة وكانت هذه الخلوة أحب شىء إلى نفسه[١] .

« يتعبد فيها الليـالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق »[٢] . ونزل عليه الوحى . وهى عادة على ما يظهر كانت معروفة عند المتدينين من عرب الجاهلية .

ولم تعين كتب السير والأخبار نوع تلك العبادة ولا كيفيتها ولم ترسم صورة واضحة لتلك العبادة التى كان يقوم بها الرسول فى ذلك الغار . « ولم يجىء فى الأحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام »[٣] والظاهر أنها خـلوة ينقطع فيها النبى عن الناس ويقل اختلاطه فى أثنائها بأهله وكانت هذه أحب شىء إلى نفسه لينصرف بدون إزعاج مزعج إلى التفكير فى خلق السموات والأرض وحل لغز هذا الوجود »[٤] .

ونزل عليه الوحى وهو بهذا الغار وفرضت عليه الصلاة مع نزول الوحى عليه مباشرة على رواية أو بعد ذلك بأيام أو بمدة على رواية أخرى[٥] . قال ابن إسحق « إن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٠ (الطبعة المصرية) .
(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٢١ . راجع كتب الآخرة مثل الطبرى . واليعقوبى والمسعودى . وابن كثير وابن خلدون وغيرها وكتب الحديث .
(٣) راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٢٦ .
(٤) راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٢٣ وما بعد .
(٥) راجع كتب الحديث والسير .

جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته »[١] .

وهذه الرواية هى رواية ابن إسحق — ولا يفهم منها بأن الصلاة فرضت بنزول الوحى على الرسول مباشرة أى فى اليوم الأول من نزول الوحى كما يفهم ذلك من رواية أخرى ، وقد أجملت ذكر الصلاة فلم تفصل كما فصل ذلك نافع بن جبير . وقد ذكرت الوضوء وهذا يخالف ما ذهب إليه العلماء من أن الوضوء لم يفرض مع الصلاة مباشرة كما أنه لا يتفق مع وقت نزول الآية التى شرعت الوضوء وهى آية « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »[٢] وهذه الآية هى مدنية ، ومعنى ذلك أن الأمر بالوضوء إنما وقع ذلك فى المدينة أى بعد الهجرة . وهذا ما لا يتفق ورواية ابن إسحق كما سترى ذلك فى بحث الوضوء والطهور .

وترى الرواية الثانية أن الصلاة إنما فرضت بنزول الوحى مباشرة أى فى اليوم الأول من أيام الوحى . « جاء فى سيرة الحافظ الدمياطى ما يفيد أن ذلك كان فى يوم نزول جبريل عليه الصلاة والسلام له « باقرأ باسم ربك »[٣] حيث قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الإثنين . ويوافقه ظاهر ما جاء : أتانى جبريل فى أول ما أوحى إلى فعلمنى الوضوء والصلاة . فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من المـاء فنضح بها ... ... الخ »[٤] .

وليس هنالك أى دليل قوى يقوى رواية من يقول بأن فرض

(١) ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ . الحلبية ج ١ ص ٢٥٥ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٢ .
(٢) سورة المائدة رقم ٥ آية ٦ .
(٣) سورة العلق رقم ٩٦ آية ١ .
(٤) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٢ .

الصلاة كان فى اليوم الأول من نزول الوحى والحـديث المشهور عن كيفية نزول الوحى على الرسول ثم ذهابه إلى خديجة وانطلاق خديجة به إلى ورقة بن نوفل لا يؤيد هذه الرواية[1] ولو كان فرض الصلاة فى هذا اليوم لوجب نزول الوحى بذلك ؛ وكل الآيات القرآنية التى تشير إلى الصلاة هى متأخرة بالنسبة إلى نزول الوحى . وفى سورة اقرأ (العلق) وهى أقدم سورة من سور القرآن ولا شك ذكر للصلاة حيث ورد « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى »[2] ولكن الذى نزل فى غار حراء من هـذه السورة هو إلى « علم الإنسان ما لم يعلم »[3] أى إلى الآية الخامسة ، وأما ما بعد ذلك فقد نزل متأخراً فتكون الآية السابقة متأخرة إذاً ، ومعنى هذا أن الأمر بالصلاة لم ينزل فى غار حراء أى يوم نزول الوحى على الرسول

إذاً فنحن لا نعرف أول يوم نزل فيه الوحى بالصلاة على وجه التأكيد . ثم إننا لا نعرف كيف بدأت الصلاة . نعم هنالك روايات ولكنها متناقضة وتحتاج إلى بحث عميق . ويجب الرجوع قبل كل شىء ولاشك إلى القرآن الكريم . وإلى ما كتب حوله من تفاسير ومعرفة أسباب النزول وترتيب النزول والناسخ والمنسوخ وتمييز الآيات المكية من الآيات المدنيـة ، ووضع تواريخ ثابتة لأوقات نزول السور والآيات .

أما القرآن الكريم فكتاب سماوى مثل سائر الكتب السماوية جاء بأحكام أساسية عامة وشرعاً للناس . أحكامه أساسية عامة شرحها النبى لأصحابه وسأل الصحابة الرسول عن الآيات ومفردات الكلمات . وقد رتبه وجمعه نفر من الصحابة . لذلك كان على المسلمين معرفة ترتيب النزول . ولم يتعرض القرآن فى أى مكان منه إلى تفصيل كيفية الصلاة وعددها فى اليوم، وقد أجهد المفسرون أنفسهم لشرح ذلك وتفسيره تفسيراً يظهر منـه عدد الصلاة فى اليوم وكيفيتها ، ولكننا لا نستطيع فى هذا اليوم أن نقول بأنهم نجحوا فى ذلك ، لأن القرآن الكريم يترك أمر الشرح والتفسير إلى الرسول . وعقول الصحابة مختلفة فى الوعى والفهم والقرب من الرسول لذلك كانت شروحهم مختلفة وتفاسيرهم متباينة فى بعض المواقف وهـذا مما يزيد فى موقف المؤرخ فى هذا اليوم صعوبة وحرجا .

جاء عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس أنه قال « لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق »[1]

والذى يفهم من رواية نافع هـذه أن الصلاة حينما فرضت فرضت خمس مرات فى اليوم رأساً وأن جبريل عين للرسول أوقاتها ، أوائلها ومنتهاها ، كما عين ذلك الفقهاء فيما بعد ولم تعين الرواية الوقت الذى فرضت فيه هـذه الصلوات الخمس وهى رواية تخالف رواية حديث الإسراء . تلك الرواية التى تكاد الأخبار الإسلامية تجمع عليها ؛ فلو حملنا رواية نافع هذه على محمل خبر الإسراء وافقت هذه تلك الرواية وإن كانت تخالفها أيضا فى المعنى، فى رواية الإسراء أن الرسول حين انتهى إلى السماء السابعة فرض الله عليه خمسين صلاة كل يوم ، ثم إن الرسول سأل ربه أن يخفف عن أمته فخفف عنه وعن أمته حتى أصبحت خمس صلوات فى اليوم[2].

فليس لجبريل فى حديث الإسراء بالنسبة إلى الصلاة مقام وليس فى هذه الرواية تحديد وقت ولا ذكر للوضوء الذى جاء متأخراً بالنسبة إلى الصلاة . وتظهر رواية نافع ضعيفة تجاه الشروح والتفاسير والأخبار التى تناولت هذه القضية .

إن أول إشارة إلى الصلوات الخمس هى تلك الإشارة التى وردت فى حديث الإسراء . جاء فى هذا الحديث أن الرسول لما انتهى إلى السماء السابعة « فرض الله عليه خمسين صلاة كل يوم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت راجعاً فلما مررت بموسى بن عمران

(١) عن الحديث راجع التجريد ج ١ ص ٥ وسائر كتب الحديث والسير .
(٢) سورة العلق (اقرأ) ٩٦ آية ٩ ، ١٠ .
(٣) تفسير الجلالين ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٠٦ . ونافع أحد الرواة المكثرين فى الحديث عن ابن عباس .
(٢) راجع التجريد الصريح ج ١ ص ٣٤ وكتب الحديث والسير .

ونعم الصاحب كان لكم سألني كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم ، فقال إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك، فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشراً ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشراً ، ثم رجعت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع عني عشراً ، فمررت على موسى ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه قال فارجع فاسأل حتى انتهيت إلى وضع ذلك عني إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى فقال لي مثل ذلك فقلت قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه فما أنا بفاعل ؛ فمن أداهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة »[1]. وهذه الرواية هي رواية عبد الله بن مسعود[2] وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وأبو حبة الأنصاري[3] .

وتختلف هذه الرواية في تعيين منازل الأنبياء وأماكنهم في السموات السبع حين مر النبي عليهم عن الترتيب المألوف في سلسلة الأنبياء . يلاحظ أن الترتيب في هذه الرواية على اختلاف الروايات لم يراع فيه ترتيب النبوة وسلسلة أوقات الأنبياء ، إذ جعلت مكان آدم في السماء الأولى ثم انتقلت رأساً إلى عيسى مع أنه آخر الأنبياء قبل محمد فجعلته في السماء الثانية وكان الأولى أن يكون في السماء السابعة أو السماء الأولى إن روعي في ذلك آخر السلسلة ، وجعلت مكان يوسف بن يعقوب في السماء الثالثة وإدريس في السماء الرابعة ثم هرون بن عمران في السماء الخامسة مع أنه لم يكن نبياً من الأنبياء، وجعلت في السماء السادسة موسى بن عمران وفي السماء السابعة إبراهيم .

ويلاحظ أيضاً أن الرسول حينما هبط من السماء السابعة بعد أن كلف بخمسين صلاة في اليوم لم يتكلم مع إبراهيم وهو أول نبي يمر عليه الرسول بضرورة الترتيب بل كان كلامه مع موسى وهو في السماء السادسة كما رأيت وهو الذي أشار على الرسول بالرجوع

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٦ .
(٣) راجع التجريد ج ١ ص ٣٥

ليسأل الرب عن التخفيف . والظاهر أن سبب جعل ابراهيم في السماء السابعة هو لكونه صاحب الديانة الحنيفية التي كان يدين بها من رفض عبادة الأصنام من العرب .

وقد كان الرسول يدين بدين ابراهيم « ملة أبيكم ابراهيم » وابراهيم أبو المستعربة جاء في هذه الرواية حينما سأل النبي جبرائيل عن الشخص الذي رآه لأول مرة في السماء السابعة « هذا أبوك ابراهيم »[1] .

وأما تخصيص موسى بالكلام فالظاهر أن ذلك كان لما عرف عن بني إسرائيل من عقوق . ولما خالفوا به أوامر أنبيائهم كما هو معروف في التوراة ولكثرة الصلوات عند اليهود[2] .

وأما رواية أنس بن مالك فتختلف عن رواية ابن مسعود بعض الاختلاف في قضية ترتيب الأنبياء ولكنها تتفق بعد ذلك في قضية إشارة موسى على الرسول بطلب التخفيف .

وفي هذا الحديث أول إشارة إلى الصلوات الخمس في الإسلام ، وقد حدث الإسراء بثلاث سنين أو سنتين أو بسنة قبل الهجرة[3] أو بست ونصف ، إذاً فتكون الصلوات الخمس قد فرضت في هذا الوقت في الإسلام[4] ويستند قولنا هذا على حديث الإسراء طبعاً أما في القرآن الكريم فلم يرد في الإسراء طبعاً شيء عن الصلاة . وأما الآية الكريمة التي ذكرت الإسراء فقد تناولت الإسراء بصورة عامة ولم تتعرض إلى كل ما ذكر في حديث الإسراء مما حدثه المحدثون ، والحديث يحتمل التصديق ويحتمل التكذيب وليس بشيء تجاه القرآن .

يقول المستشرق ميتوخ « أما متى بدأ الرسول بأول صلاة من صلواته ثم متى أصبحت الصلاة واجبة في الإسلام فإن الإجابة على ذلك إجابة تاريخية صحيحة إن لم تكن مستحيلة فإنها صعبة حتى الآن . غير أن الرأي الإسلامي هو أن الصلوات الخمس إنما فرضت في ليلة الإسراء أي قبل سنة ونصف من الهجرة »[5] .

وقد بذل المفسرون جهوداً عظيمة لتفسير الآيات القرآنية

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) الخازن ج ٣ ص ١٤٦ .
(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٨ .
(٤) و (٥) Mittwoch q. 9.

التي ورد فيها ذكر للصلاة وللتوفيق بين هذه الأبيات وبين الحديث بدون أن يتوصلوا إلى نتائج مقبولة ليس للحمل ولا التأويل فيها مقام . وذلك لأن الصلوات اليومية الخمس لم تذكر في أي مكان ما من القرآن ذكراً صريحاً(١) فصار المفسرون يجهدون أنفسهم لتأويل الآيات تأويلا يفهم منه بأن المقصود من الآيات التي نوه فيها بذكر أوقات الصلاة الصلوات اليومية الخمس .

على أننا إذا ما قرأنا الآيات القرآنية ودققنا في الحديث كحديث عائشة وهو : « فرض الله تعالى الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر »(٢) . نتوصل إلى شيء آخر ، نتوصل إلى أن الرسول كان يصلي قبل الإسراء حتما وأن صلاته كانت ركعتين فقط في كل صلاة(٣) . وأنه كان يصلي مرتين في اليوم ، مرة في الغداة ومرة في المشي(٤) . كما يفهم ذلك من الآية : « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »(٥) .

فجاء في هذه الآية اسم صلاتين هما صلاة الفجر وصلاة العشاء . وتؤيد هذه الآية الروايات التي وردت في الحديث والسير من أن الرسول كان يصلي مرتين في اليوم مرة عند بدء النهار ومرة في آخر النهار(٦) .

والظاهر أن الرسول كان يتعبد طويلا في الليل في أيام بعثه الأولى وأنه كان « يتهجد » في الليالي يدعو الله ويصلي إليه(٧) وكان يقرن ذلك بقراءة القرآن . وقد كانت قراءة القرآن وقت الفجر من القراءات المحببة إلى الرسول « أقم الصلاة لدلوك الشمس

(١) تاريخ القرآن لنولدكه ج ١ ص ١٥١ .
(٢) التجريد ج ١ ص ٣٤
(٣) mittwoch p , 10 .
(٤) الحلية ج ١ ص ٢٥٤ .
(٥) سورة النور ٢٤ آية ٥٨ .
(٦) كتب السير والحديث.
(٧) التجريد ج١ ص ٧٨ وما بعد .

إلى غسق الليل . وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً(١) » .

أخذت عبادة الليل وقتا طويلا من أوقات النبي حتى اجهدته . جاء في الاخبار « لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلاما وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد بقوله تعالى « ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم(٢) » . وهو الناسخ لما قبل ذلك من التحديد في أول السورة الحاصل بقوله « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا(٣) » . وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء(٤) .

وجاء « أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور في أول سورة المزمل ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس(٥) » . وبعد افتراض الصلوات الخمس اقتصر العباد والزهاد من الصحابة على التهجد وقيام الليل تقربا إلى الله وتطوعا منهم وقربة .

كان « التهجد » إذاً عبادة ليلية يقوم بها الرسول « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً(٦) » . مقرونة بتلاوة ما تيسر من القرآن . وهو عبادة اختيارية طبعاً يقوم بها الانسان تقربا إلى ربه لا يحاسب الانسان فيما إذا أهملها لأنها غير مفروضة كما رأيت .

(البقية في العدد القادم)

جواد علي

(١) الاسراء سورة ١٧ آية ٧٨ .
(٢) المزمل ٧٣ آية ٢٠
(٣) المزمل ٧٣ آية ١ — ٤ .
(٤) الحلية ج ١ ص ٢٥٤ .
(٥) الحلية ج ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .
(٦) الاسراء سورة ١٧ آية ٧٩ .

حديث المـــائدة

للأستاذ زكي نجيب محمود

رحم الله يوماً كانت فيه النفس ساذجة يافعة، تسير مطمئنة في طريق لا تلتوى وسبيل لا تجور، وتثب إلى الإيمان بما روى أو يذاع وهى آمنة في حصن منيع من الرضى، لا تنفذ خلاله خلجة من الشك أو نزعة من الجحود والإنكار

ولعن الله يوماً أزيل فيه ما ران فوق البصيرة من غشاء، فقد ودعت النفس عندئذ تلك الطمأنينة الراضية، واستقبلت شكاً ملحاً مضنياً يمقت راحة التصديق، ويأبى هدوء الإيمان، ولا يطمئن إلى ما تواضع الناس عليه، لا يفرق في ذلك بين معقول ومنقول، فقد غدا كل شيء موضعاً للتفكير وخاضعاً للشك والرفض والإنكار

قال ذلك صاحبي وهو يتحدى أن يكون في العالم حقيقة واحدة تبلغ حداً من التعيين يستعصى على الشك ولا يلين للنقد والرفض، ويهزأ بتلك البداهة التي نزلت عند الناس منازل الإيمان. وكان يسائلني في شيء من السخرية: هل يمكن أن تكون للعقل كرامة موفورة في الاستسلام والرضى؟! فهو يستمرئ مرارة الشك، ولا يعدل بعبثه المضنى جنات عرضها الأرض والسماء، ولو أنه كان يود أن لم يكن ذلك الشك، وأن لم تزل تلك السذاجة البريئة المطمئنة الراضية

قال محدثي: قد تظن أنك تعلم طائفة من المعارف لا يحدها حصر ولا عدد، تبلغ ألوف الألوف، بل ألوف الملايين، كلها ثابت لا تزعزع يقينه عواصف الشك مهما بلغت من قوة وبأس. انظر! هذا مقعد، وتلك مائدة تنتثر عليها طائفة من الكتب، وهذه نافذة تستطيع أن تشهد خلال زجاجها شمساً ساطعة وسماء زرقاء، وسحباً وكفاء تسير الهوينا مع الريح... نعم، وها أنت ذا تصيخ فتسمع صوتاً ينبعث هنا وجلبة تضطرب هنالك، هذه أبواق سيارات تصيح فيتبينها سمى وسمعك على السواء، وذاك صراخ أطفال يلعبون ويمرحون ... هـذه أصابعك تنزلق فوق المائدة فتصادف جسماً صقيلا ناعماً، ثم تمر على شعرات الفرجون فلا تشك في خشونتها ... نعم! لقد يخيل إليك أنك تعلم هذا كله، وتعلم آلافاً من أشباهه علم اليقين، بل وتعلم فوق هذا كله طائفة من الحقائق المركبة المعقدة، أفلا تعلم أن الشمس تكبر الأرض، وأنها تشرق كل صباح وتغرب كل مساء لدورة الأرض حول محورها مرة في كل يوم، وأنها ستمضى في الشروق والغروب ما بقيت الأرض أرضاً والسماء سماء؟ إنك لا تشك في صحة هذه الحقائق، ولعله لا يرضيك أن تراها يوماً موضعاً لشك، ولكنك يا صاح لا تكاد تصوب نحو أي منها أشعة التفكير، حتى يتبدد ذلك اليقين هباء، وينهد من أساسه حيث يسلم بناءه لمعول الشك يعمل فيه، فلا يرتفع عنه إلا وهو أنقاض لا تغنى ولا تفيد.

وضرب صاحبي بقبضة يده فوق المائدة وقال: خذ هذه المائدة مثلاً! أفتشك في أنها مصنوعة من خشب قد طليت باللون الأصفر، وأنها مستطيلة الشكل ناعمة الملمس؟ فناظراك ينقلان إليك لونها وشكلها، وأناملك تحس نعومة صقلها، وأذناك لا يخطئان رنين الخشب إذا ما نقرت ظهرها بأصبعك، ومن تلك الحقائق الجزئية التي سلكت إلى ذهنك هـذه الطريق أو تلك تكونت في نفسك صورة للمائدة قوية واضحة، تستطيع أن تستعيدها على صفحة الذاكرة كاملة، إذا ما حال بينك وبينها حائل

ولـكن من أدراك ياصاح أن هذه المائدة موجودة فعلا؟ أفلا يجوز أن تـكون الحواس خادعة تبدع لك وجوداً من عدم؟ هل يبعد أن يكون اللون من خلق البصر، بل وأظنه كذلك عند العلم والعلماء الذين يستمع إلى قولهم إذا قالوا، فهم لا يعترفون بأ كثر من موجات، تطول حيناً وتقصر حيناً، فتتلقاها العين ثم تأخذ في ردها إلى هذا اللون أو ذاك، وإذن فالعلم — وهو جهينة هذا الجيل — ينكر أن يكون للون وجود في الواقع... وقل مثل ذلك في صوت هذه النقرة التي بلغت أذنيك فأنبأتك بأنها للوح من الخشب، فهي الأخرى موجات صامتة في الواقع، صائتة في أذنك أنت!... وهكذا تستطيع أن ترد ما تنقله إليك الحواس جميعاً عن حقيقة المائدة، وإذن فهي وهم تآمرت على نسجه الحواس، ليس له وجود حقيقي في العالم الخارجي

وهبها حقيقة موجودة لا شك في وجودها، فهل تراك تعلم

من أمرها شيئاً ؟ أنعم النظر في لونها الذي خيل إليك للنظرة الأولى أنه أصفر ، ألا ترى أشعة من الضوء تنعكس على سطحها الصقيل ، فانقلب في بعض المواضع أبيض أو قريباً من الأبيض ؟ در حول المائدة بتنقل موضع الضوء ، وإذن فلون المائدة يختلف باختلاف موقفك ، فلو جلس حول المائدة عشرون شخصاً ، وأمسك كل واحد لوحة ينقل فوقها المائدة بلونها كما يراها ، لاجتمع لديك عشرون رسماً لا يشبه بعضها بعضاً ، فأين الحقيقة بين هذه العشرين ؟ إني لأرى شفتيك تفتران عن ابتسامة ساخرة من هذا الهراء ، أو ما تحسبه أنت هراء ، ولكنه حق لا شك فيه ، فلو رضت عينك على النظر إلى الأشياء بحيث ترى ما يقع عليها من مختلف الألوان ، إذن لرأيت لكل شيء عشرات وعشرات من الألوان المتباينة ، لا يأبه لها النظر السريع ، ويدركها الرسام في جلاء ووضوح ... لقد شاهدت مرة في معرض أقامه مصور فنان ، لوحة تصور منظراً للنيل عند أنس الوجود ، فوجدته قد خلع على الماء مجموعة من ألوان لا تراها العين ، أو على الأصح يخيل إلى العين أنها لا تراها — فسألته : أين رأيت هذه الألوان التي صبغت بها لوحتك ، فأجاب : رأيتها على صفحة الماء ، وهو صادق فيما يقول

فليس لون المائدة أصفر وإن شبه لك أنه كذلك ، لأنه يختلف مع الضوء وحدة البصر ، كما ينعدم في حلكة الليل ، وإذن فليس هو صفة لازمة للمائدة في كل وقت وعند كل عين ، إنما يتوقف على موقف الرائي والضوء الساقط ، كما يتوقف على المائدة نفسها

دع اللون وابحث في نعومة السطح ، فعينك المجردة العارية قد تراه صقيلا لامعاً ، لا غضون فيه ولا التواء ، فإذا ما نظرت إليه خلال المجهر ، رأيت سهولا وحزوناً وهضاباً ونجاداً ، وكلما ازداد المجهر حدة ازداد السطح تغضناً وخشونة ، فأين حقيقة السطح إذن ؟ أهو وعر كثير المسالك كما يبدو خلال المنظار ؟ أم مستو صقيل كما تراه العين المجردة ؟ لا أحسبك تستطيع أن تقطع في هذا بقول صحيح !

ثم انتقل إلى شكل المائدة وحدثني ما هو ...وإن زعمت أنه مستطيل فمن ذا أنبأك بهذا ؟ انك لا ترى استطالة السطح إلا في موقف واحد ، وهو أن تنظر إليه من أعلى نظراً عموديا لا يميل ، وقل أن يحدث هذا ... خذ قلما وقرطاساً وحاول أن ترسم سطح المائدة وسترى عجباً ، فلن يبدو لك السطح مستطيلا كما تظن بل ستراه يضيق من ناحية ويتسع من ناحية أخرى ، وكلما نزل مستوى بصرك أو صعد تغير الشكل المنظور ، وكلما تحركت قيد شبر واحد تغير شكل المائدة ... فلو وقف في الحجرة ألف شخص ورسم كل واحد منهم المائدة كما يراها ، كان لديك ألف شكل لا يشبه واحد منها الآخر ، فهل لشكل المائدة حقيقة واحدة أم الف من الحقائق ؟ !

ثم تعال معي نخبرها من حيث الصلابة والليونة ... اضغطها بين أصبعيك فماذا أنت واجد ؟ لا أحسبك شاكا في صلابتها ، فهذا ما تحسه يداك ، كما يحسه كل إنسان آخر ، ولكن هب أن الله قد أمدك بقوة تساوى ألف مثل من قوتك ، فهل ترى صلابة المائدة تظل بين أصبعيك كما هي لا يطرأ عليها التغيير والتبديل ؟ كلا ! فكلما ازدادت قوة الضغط ، قلت نسبة الإحساس بالصلابة ، فهي أصلب في ملمس الطفل منها في ملمس الرجل ، وهي أصلب في ملمس الرجل منها في مخلب الأسد ! فهل ترى من حق الإنسان أن يكون حكما يقضى لهذه بالصلابة ولتلك بالرخاوة ، وهو لا يعبر إلا عن شعوره الخاص ؟... اقرع المائدة بأصبعك تسمع لها صوتا تعهده للخشب ، فتظن أن للخشب صوتا يلازمه في كل ظروفه ، وأنه لازمة من لوازمه ، ولكنك ترفض هذا حين تعلم أن له رنينا آخر إذا نقرته بمفتاح مثلا ، وثالثاً إذا ضربته بمسحاة وهلم جرا ...

إذن ليس لون المائدة أصفر على وجه اليقين ، وليس السطح مصقولا على وجه اليقين ، وليس الشكل مستطيلا على وجه اليقين وليس الخشب صلباً على وجه اليقين ، وليس له صوت بعينه ... وإذن فما نقلته اليك عيناك مشكوك في أمره ، وما نقلته اليك أذناك مطعون في صحته ، وما نقلته إليك أصابعك موضع للاخذ والرد ، فماذا بقى لك من مائدتك التي عهدتها وما شككت يوما في يقينها ؟ أفلا ترى الآن أن صورة المائدة في ذهنك قد تنقص عن الواقع ، وقد تزيد على الواقع ، وقد لا يكون لها واقع على الاطلاق ؟ !

الحياة الأدبية في الحجاز

نهضة الشعر

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

سمع هؤلاء الشعراء هذه الصيحة التى صاح بها أدباء المهجر فى وجه التقليد فاستجابوا لها لأنهم وجدوا فيها دعوة إلى الصراحة والتعبير عن النفس فى وضوح وجلاء ؛ والعربى أقرب الناس إلى هذه الصراحة ، كما وجدوا فيها خروجاً على التقليد الذى قعد بهم عن الرقى الزمن الطويل ، ولهذا صاح كثير منهم فى الحجاز فى وجه التقليد ودعوا إلى مثل هذه الدعوة التى دعا إليها جبران فقال أحدهم : « بعض من شبابنا الأدباء وبعض من قراء (الكتب القديمة الجامدة) يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة ، ناصعة والحق يقال . ولكن ما ذا يضمنها من الأفكار ؟

ينظمها فى الخمريات وفى الغزل وفى المديح وفى الحماسة وفى الحكمة ، وكل هذه من الأفكار الميتة التى دفنت مع عصور ... فلا تصلح لنا...

وقال : « أمامنا الوطن ، أمامنا العادات والأخلاق ، أمامنا الحرية بأنواعها ، أمامنا الشرق الكسول ، أمامنا التغنى بأمجاد الشرق ، أمامنا العرب بحالتهم السياسية ، أمامنا الغرب باختراعاته»

. هذا هو الروح الجديد المتوثب الذى سرى فى شباب المدرسة الحديثة فى الحجاز . ولعل القارىء يدرك التشابه بين هذا الروح واتجاه أدباء المهجر ، بل لعله مدرك التشابه فى الأسلوبين وطريقتهما.

ولما كان أدباء المهجر أحراراً فى كل شىء ، متمردين على القيود القديمة والأغلال المتوارثة ، فقد بدأ هذا التحرر فى القافية وطريقة الوزن الشعرى والموضوعات والمعانى والأخيلة ، ومن ثم تابعهم شعراء الحجاز المجددون فى كل هذا : فالكثرة الغامرة من قصائدهم لا تتبع قافية واحدة ، والمربعات والمخمسات والدوبيت والموشحات تفوق عندهم القصائد وتربى عليها . ونحن نسوق هنا مثلا من الطرق التى يتبعونها فى قافيتهم . فما جاء من ذلك مناجاة « لحسن فقى » يناجى فيها القمر ومنها :

حسبى من الدنيا الحقيرة أن أراك لدى المساء
تلقى بنورك فى القلوب كبلسم يزجى الشفاء
فأعود بالذكرى إلى عهد اللذاذة والهناء
وأبث ما يجد الجنان
حسبى من الدنيا بقاؤك ساطعاً فوق الهضاب
مترنحاً من نشوة الحسن السيطر والشهاب
متطلعاً من عرشك العالى إلى أسرى العذاب
ترنو إليهم فى حنان

بل إن الشاعر هنا لا يريد أن يعترف بشطرى البيت فساقه جملة كما يفعل شعراء المهجر أيضاً .

ومن الطرائق التى يتبعونها فى القافية أن يغير الشاعر القافية فى كل بيت ، ولكنه يذيله بكلمة متحدة القافية مع الكلمات الأخرى وفى هذا النوع يقول الشاعر « عمرعرب » فى قطعة عنوانها « عصر الشباب » .

حدثينى عن الصبا والشباب عن زمان الهناء بين الصحاب
حدثينى
حدثينى عن الهوى يا مهاتى إن هذا الحديث يحيى رفاتى
حدثينى

ويقول :

لست أسلو هواك يا هند يوما لا ولم أخش فى عذابك لوما
صدقينى

أخشى أن ينتقل بنا الحديث من المائدة إلى مشكلات فلسفية عميقة ، فهى توشك أن تفتح أمامنا أبواب بحث جديد ، جدير بالتفكير . هل هناك مادة فى الوجود كما يبدو أم هى بدعة أنشأها الفكر البشرى إنشاء وخلقها من العدم خلقاً ؟ ! ... هل تدل مظاهر الأشياء على حقائقها وتنطبق عليها انطباق المثال على المثال أم تختلف عنها اختلافا بعيداً أو قريباً ؟ ! ...

ثم وضع صاحبى كفه القوية فوق كتفى ، وقال فى عطف ونصح : فكر فى كل شىء ، وستشك فى كل شىء ! !

زكى نجيب محمود

ذكريني بذلك العهد هند كيف نلنا الآمال والعيش رغد
ذكريني

وهكذا يحاول شعراء المدرسة الحديثة أن يتخلصوا من قيود القافية ؛ حتى ليسوق إليك بعضهم كلاما يخيل إليك بادىء الأمر أنه نثر ، فإذا أطلت النظر فيه وجدته شعرا ونثرا ؛ قد التزم فى بعضه الوزن وأطلق الآخر حراً دون قيد ، ومن ذلك كلمة للأديب « عزيز ضياء » عنوانها « عيد » يقول فيها بعد كلام طويل وصف فيه مغيب الشمس قبلة ليلة العيد ....

ثم لما ابتلعها لحدها وغيبها دهرها
صاح فى الروض طير
لقد ماتت ذكاء
فكان يوم قديم قد مر وكان شهر قديم قد انقضى
وجن جنون السحاب الحزين
فناح نواحا يثير الحنين
وراح يناجى الربى والحزون
يمزق فوق الربى وجهه
ويهرق فوق الثرى دمعه
ولم يرث قلب لتلك الدموع
ففاض المحب بأنفاسه
وراء الجبال وراء الحبيب ... الخ

فلعلك مدرك بعد هذا أن الأديب هنا قد جمع بين الشعر المنظوم والشعر المنثور وأن الفقرة التي أولها « وجن جنون السحاب الحزين » شعر موزون من بحر المتقارب ولكن الأديب لم يلتزم فيه قافية متكررة . على أنك واجد فى بقية القطعة تحرراً من الوزن والقافية معاً .

ويجب أن يستقر فى أذهاننا أن تقليد الحجازيين المتئدين منهم والمتوثبين تقليد قوى لا تفنى فيه شخصياتهم وإنما يقلدون غيرهم فى الطرائق والمناهج ويصورون بعد ذلك عواطفهم وبيئتهم ، فهم متأثرون بهذه البيئة أشد التأثر : متأثرون بطبيعة أرضها وعادات أهلها وآمالها وعقائدها .

والشاعر إذا شعر تجد فى ثنايا شعره كل هذه الاتجاهات واضحة جلية :

يقول معالى الدكتور هيكل باشا : « ثم إن الأدب يتأثر دائما بالبيئة التى تحيط به كما يتأثر بأحداث الزمان ، وإذا كانت هذه الأحداث قد بعثته فى الحجاز ، حتى جعلت أهله يتطلعون إلى غيرهم من الأمم المجاورة لهم ، فان البيئة العربية الصحيحة التى لم تتغير ، قد بقى لها أثرها فى هذا الأدب ، شأن كل بيئة فى أية أمة من الأمم ، ولعل أثر البيئة الطبيعية أكثر وضوحا فى شعر أدباء الحجاز منه فى نثرهم .. »

ونحن إذا أردنا أن نلتمس الدليل على ذلك وجدناه واضحاً جلياً ، فهم مع اطلاعهم على الآداب الأخرى لم ينسوا أن يصفوا جبالهم وهضابهم وما ينبت فى أرضهم من أثل وأراك ، فعبد الوهاب آشى يقول :

بلاد حبتها الطبيعة ما يحبب للقلب أدوارها
جبال تناطحجون السحاب وتوحى إلى النفس أفكارها
تنائف تمرح فيها الوحوش تساجل فى الدوح أطيارها
ومشتبك الأثل فى غابها كما جارة عانقت جارها
إذا الليل أرخى ستائره أرتك الكواكب أنوارها

وفى الأبيات الآتية ما يصور للقارىء ناحية من نواحى الحياة بالجزيرة حيث يقام استعراض عام للجيوش ، فتبدو الخيل صاهلة والإبل ترغو والأعلام خافقة ، وقد قيلت فى الاستعراض الذى أقيم احتفالا بنجاة جلالة الملك ابن السعود من حادث المطاف ١٣٥٣ هجرية :

فى موكب (العرضة الكبرى) وقد لعبت
فيهـا الرماح وقامت ترقص القضب
والخيل تصهل والأعلام خافقــة
والأســـد تزأر والآفاق تصطخب
والابل ترغى وأصوات البنــادق
كالرعد المدمدم تروى رجعها السحب

ولما كان اتصالهم بالثقافة الحديثة اتصال الدائب المجد ، اتصال الذى لا يترك كتابا ظهر فى عالم التأليف حتى يأتى عليه ، لما كان هذا فقد رأيناهم يعالجون الموضوعات النفسية ويأتون ببعض من المعانى الفلسفية التى تتصل بالروح والحيـاة والغرائز البشرية ، فأحمد قنديل يناجى الحياة فى قصيدة طويلة جاء فيها :

أنا بين ماضي المنير وحاضرى الد ... اجي وتحت غمامة المستقبل
متفائل متشائم فى فكرى الد ... امى عراك هائل لا ينجلى
أبداً أظل برحلتى كالهائم الد ... اعى إليـك بحيرة وتأمل
لا تصطفين سوى محب حام حو ... لك هائم متعزلا يستكين

ولثمت فاك فكان خمرى اللمى حلو الرحيق
لكن نشدت الطهر فيك فما وجدت له عبوق

إلى أن يقول :

من أنت ؟ بل قولى بحقك : من أنا ؟ فأنا الصديق
المكره الصادى الفؤاد ، أنا الأسير أو الرقيق
أنا من ولدت مزوداً بهواك يجرى فى العروق
سأظل حولك ساخراً دهشا بذياك البريق
متصابياً أسقى الرضا حيناً وأشوى بالحريق
حتى إذا انكشفت ستارتك الصفيقة فى المضيق
سأكون ويلك مع ضحاياك الرقود بذى الشقوق
وأعود فى كنف الخلود أو السما روحا طليق

وقد اتفقت كلمة شعراء الحجاز من المدرستين على أن يطرقوا من موضوعات الشعر ما يلامس الحياة الواقعة ، ويتصل بآمالهم ومآربهم ، فهم يتناولون الموضوعات القومية والاجتماعية التى يحتاجون إليها فى مجتمعهم ؛ فالشيخ محمد سرور الصبان يقول فى الوطن :

أنا لا أزال شق حبك هائماً فى كل واد
زعم العواذل أننى أسلو واجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للمصا ... ئب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعاً ... بالعز ما بين البلاد

ويقول الأستاذ احمد العربى فى قصيدة له عنوانها « أيها العيد »

أيها الموسرون رفقا وعطفاً ... وحناناً بالبائس المحزون
ربما بات جاركم طاويا جو ... عا بتم تشكون بشم البطون
ربما ظل طفلة العيد يستخفى من الصحب قابعاً كالسجين
يتوارى من سوء منظره المزرى ومن حاله الكريه المهين
أى فضل للعيد يستأثر المثرون فيه بالطالع الميمون ؟ !
والفقير الكئيب يرجع منه ... بنصيب المرزأ المغبون ؟ !

وشعراء الحجاز منذ أن تفتحت أمامهم نواحى النهضة الحديثة يعالجون بشعرهم الموضوعات السياسية ويرون أن النهضة لن تكون إلا إذا تعاون العرب جميعاً فى أقطار الأرض . وفيمايلى ابيات للأستاذ الغزاوى يخاطب فيها مصر :

يامصر أنت وقد دأبت منارة ... للمهتدين وسميك المترسم

* * *

يا مصر ما أولى بنيك بقومهم ... فعلام يوغرك الخلاف المبهم
يا مصر قد أغضيت عمن ليلهم ... فيك السهاد وفى جمالك تيموا
يا مصر يا أم الحضارة والنهى ... مهلا فحبك فى الجوانح مدعم
يامطمح الأمل العتيد وعزة الما ... ضى المجيد وما أظل ويقدم
يا ربة الأهرام والمجد الذى ... ما زال فى أمم البسيطة يكرم

إلى أن يقول :

ردى على تحيتى فلا متى ... قلب غليك مع العتاب متيم

ويقول الأستاذ عواد من قصيدة يصف فيها جندى الديموقراطية فى ميادين القتال :

يستثير المجد فى عمل ... هائل المغزى يعظمه
حيث موسيقا الخلود إذا ... طوحت بالجبن تحطمه
والصدى كالصوت صاعقة ... والصفوف السود ترجمه
يسأل الأقدار هل يده ... تغسل العدوان أو دمه ؟
فاذا بالكون ليل أسى ... تتهاوى فيه أنجمه
وإذ الأصداء قائلة : ... قول صدق لا تجمجمه
أيها التاريخ ذا بطل ... فعله للخلد مسلمه

ومن الأغراض التى نالت حظا من الرقى « الغزل » فقد اتجه الشعراء فيه إلى ذكر الهوى والشوق وتوجع الصبابة وفى وفى الأبيات الآتية وهى « لمحمد حسن فقى » ما يدل على صدق العاطفة وتدفق الشعور :

لا أنت يا قلب بالسالى فتهجره ... ولا الوصال بميسور ولا دانى

عش هكذا خافقا ياقلب مكتئبا — فليس حزنك بعد اليوم بالفانى
أواه ! إن جحيم الحب يصهرنى — فما الذى بجحيم الحب أصلانى ؟!
لا آخذ الله من أصمى بمقلته — قلبى وغادرنى نهبا لأشجانى
إليـه أبعث أنانى مؤججة — ومنه أقبس أشعارى وألحانى
وفيه ألتذ بالبلوى وأحمدها — إن كان يرضيه تعذيبى وهجرانى

وليس عجيبا أن يجيد العربى ذكر الهوى والغرام؛ فهو عفيف لم تلوثه المدنية بآثامها، ولم يسلس قياد المرأة له حتى تنطفىء جذوة غرامه وتخبو حدة حبه. فلا تكاد فتاة المدن فى الحجاز تتجاوز عهد الطفولة حتى تحتجب عن الأنظار ويضرب الحجاب بينها وبين الشبان، ويصبح من المحال أن يلتقى شاب بفتاة أو أن يختلس منها نظرة عابرة.

وفى الشباب الحجازى عاطفة متقدة، أملتها عليه طبيعة هذه البلاد المتقشفة، فهو إذا تحدث عن الهوى كان حديثه حديث من حدت شهواته، فخرجت أبياته زفرات وآهات ملتهبة. قال الأستاذ حمزه شحاته :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق — عز حتى السلام عند التلاق
يامعانى من داء قلبى وحزنى — وسليما من حرقتى واشتياقى
هل تمثلت ثورة اليأس فى وجهى — وهول الشقاء فى إطراقى
أى سهم به اخترقت فؤادى — حين سددتها إلى أعماقى
إذ تهاديت مبدلا نظرة العطف — بأخرى قليلة الإشراق
مسرعا فى المسير تنهب الخطو — فهل كنت مشفقا من لحاق
وتهيأت للسلام ولم تفعل فأغريت بى فضول الرفاق الخ

أما سوق المدح فى الشعر الحجازى فهى نافقة رائجة، ولهذا الغرض شعراء من المدرسة المتئدة قد أجادوا فيه وأكثروا، ولعل الذى جعلهم يجيدون ويطيلون ماوجدوه فى جلالة ابن السعود من معان تستأهل المدح وتستحق الإطراء والثناء؛ فهو الذى أمن البلاد بعد خوفها، وهو الذى بعث الحياة فى نواحيها فشاد دور العلم واستحث الهمم للنهوض، وهو الكريم الذى يولى الهبات وهو الشجاع الذى أسس الملك على أساس من القوة.

ولا يقتصر المادحون على مدح الملك وإنما يمدحون أبناءه الأمجاد فيجدون عندهم من الحفاوة والتكريم ما يرضى نفوسهم ويحملهم على المزيد. قال الغزاوى يمدح جلالة الملك بعد الحلف الذى أبرم بين الحجاز واليمن :

وأنت الذى أعلى بك الله صرحها — وأرشدها للعرف بعد التناكر
فأما بنوك الصيد فالدهر شاهدى — لديك بما قد قلدوا من مفاخر
أصاب ولى العهد أبعد غاية — تسامت فأعيت بالثنا كل شاكر

وقال أيضاً فى قصيدة طويلة يهنىء بها سمو الأمير فيصل بعودته من رحلة له فى أوروبة سنة ١٣٥١ هجرية :

بدر تم يتجلى أم فلق — أم شعور فاض فاستهوى الحدق
أم هو الفيصل ألقى ضوءه — يغمر الشعب ويستبق الرمق

* * *

أيها القادم من أقصى الورى — قد ملأت اليوم بالبشر الفلق
قد شهدت الشيخ فى حبوته — والفتى الناشىء بالحب فهق

إلى أن يقول :

فإذا ما قلت شعبى مخلص — لمليكى قالت الدنيا صدق
أى أمن نرتجيه ومنى — ونعيم فوق ما فينا بسق

ولا ضير علينا بعد الذى حصلناه فى باب الشعر أن نقرر أن الشعر الحجازى قد تقدم فى هذه الفترة القصيرة : فى أغراضه ومعانيه واستطاع أن ينأى عن التلاعب بالألفاظ وألوان الزينة.

ولكن ذلك لا يمنعنا أن نقول، إن الحجاز مهد الأدب شعره ونثره لا يزال يتطلب من شعرائه المزيد وبخاصة فيما يتصل بقوة الأساليب ورصانتها؛ فإن الكثير منهم مع إجادته لا يهتم أحيانا بجزالة الأسلوب ورصفه شأنه فى ذلك شأن شعراء المهجر أولئك الذين يقول فى أدبهم الأستاذ العقاد : « وبين محتويات هذه المجموعة « مجموعة من أدبهم » ما يسمو معناه إلى درجة رفيعة فى البلاغة والذكاء وفيها من الابتداع ما يقل مثله بين آيات أدباء الغرب العصريين ولا يؤخذ عليها إلا ما يؤخذ عادة على كتاب العربية فى أمريكا : تساهل فى قواعد اللغة، وضعف فى أساليب التعبير بها، وما عدا ذلك فطرفة تستحق الثناء »

أحمد أبو بكر إبراهيم

البلاغة العربية

للأستاذ نقولا الحداد

البلاغة في اللغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . والفصاحة هي سلامة الكلام من التنافر والتعقيد ومن الألفاظ المهجورة والوحشية . واللغة العربية لا تختص بهذا التعريف وحدها ، بل هو تعريف البلاغة في كل لغة ، لأن البلاغة عمل عقلي أكثر مما هي أداة كلامية . وهي منطق أكثر مما هي فن تعبير . بل هي فلسفة أكثر مما هي قاعدة بيان

إذن فأركانها صحة العقل وصفاء الفكرة وجمال الذوق واتساع المعرفة وطاعة الكلم للسان والقلم . فاذا اجتمعت هذه في القائل أو الكاتب في أية لغة كان كلامه بليغاً

أما صحة العقل فأساس المنطق لتطبيق القول على المعنى المراد بغية إقناع السامع أو القارىء بصواب القول وارتياح النفس إليه

وأما صفاء الفكرة فأساس البيان لأنه لا يمكن أن تقيم بناء بيان على فكرة مضطربة مقلقلة ، ولا يمكن أن يفهم السامع أو القارىء ماذا يعني القائل بكلامه المضعضع . ولا يمكن أن يتم الاتصال بينهما على وثيقة

وجمال الذوق لابد منه لتبليغ الكلام البليغ إلى ذهن القارىء أو السامع أو إغرائه بمعناه وتغذية العقل بمعرفته . فاذا خلا البيان من الذوق الجميل كان منفراً ، وإذا غني به كان جذاباً ساحراً . وإن من البيان لسحراً

والمعرفة مادة الكلام . هي الجواهر التي يصاغ منها الكلام البليغ . فالكاتب الذي يكتب في موضوع بضاعته فيه قليلة أو ضئيلة أو سقيمة لا يصوغ إلا فقاقيع زبد لا تلبث أن تذهب أمام استكناه معناها ذهاب الرغاوة مع الريح . يجب أن يلم الكاتب إلماماً كبيراً بما يكتب لكي يستطيب القارىء بلاغته وإلا مله لأول فقرة ونبذه

بقي أنه لا بد للكاتب أو المتكلم أن يكون قائماً على كتب اللغة وأن تكون الكلم الفصاح في متناول يده يختار منها أليقها لمكانها في الكلام وأوقعها في المسامع وأدناها للأذهان ، ويجب أن يعلم الكاتب أن لكل مقام مقالاً وأن لكل قوم كلاماً موموقاً وأن لكل زمان ألفاظاً مأنوسة . فما أقبح أن يخاطب المتكلم أو الكاتب أناساً بألفاظ غريبة عنهم أو ناشزة في مسامعهم أو بعبارات معقدة تستكد أذهانهم

هذه بعض أوليات البلاغة . وقد تبسط فيها الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة في كتابه « دفاع عن البلاغة » ، ومباحثه في هذا الكتاب طريفة ؛ فهو يعطي للبلاغة صفة الفلسفة ويكتب فيها كفيلسوف مركباً في فصل آلة البلاغة ، ومحللا في فصل الذوق ، ومركباً ومحللا معاً في فصل الأسلوب . وهو الفصل الذي أفاض فيه بتبيان صناعة القلم من جميع وجوهها . ولا بدع أن تكون البلاغة ضرباً من الفلسفة ، لأن المعنى واللفظ متلازمان ملتحمان ، الثاني صورة للأول ، والأول نتاج العقل ؛ فبراعة الكاتب تظهر في استطاعته أن يلائم المادة بالعقل وأن يلبس المعنى الثوب اللفظي الأنيق اللائق على قدره لا أضيق ولا أوسع

ولأن البلاغة ضرب من الفلسفة فهي في رأي الأستاذ الزيات كسائر الفنون طبيعية موهوبة لا صناعة مكسوبة . ولعله تطرف في هذه العقيدة أو غالى في قصرها على الفن ؛ لأن هناك ضرباً من الكلام مكان الفن فيه قليل أو عديم . إذا كتبنا عن سر القنبلة الذرية لا نجد موضعاً للفن إلا إذا كتبنا عن تأثيرها في الحرب أو الاجتماع . يكفي أن نحسن كشف السر وبسطه من الناحية العلمية لكي نجلوه للقارىء جيداً . فالبلاغة في هذا المجال صناعة مكسوبة أكثر مما هي فن موهوب . وفي كلتا الحالتين لا غنى عن القواعد للايضاح والاحتراز من اللبس

إن تطبيق اللفظ على المعنى هو غاية البلاغة القصوى سواء كانت فنا أو صناعة . والأستاذ الزيات قد أجاد كل الإجادة في فلسفة البلاغة وضرب بكل سهم في مذاهبها . فهو إذن نبراس الهدى لأهل البراعة .

***

في حين أن ظهر كتاب « دفاع عن البلاغة » ظهر كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » للاستاذ سلامه موسى . وهو كتاب طريف المباحث أيضاً . لا أظن أحداً خاض فيهما قبله أو سبقه إليها . هو فلسفة الكلام أو الكلمات . أو لك أن تقول

هو فلسفة تطبيق اللفظ على المعنى بمقتضى حاجة العصر . العصر يتغير والمعانى تستجد . فبالأحرى أن تتغير الألفاظ وأن تستجد . وبالأحرى أن تلاحق الأقلام هذا التجدد والتجدد ضربة لازب للتطور . ولا يحدث تطور إلا إذا لم يعزل القديم إلى «الانتكخانة» المتحف ويؤتى بالجديد . فقطار العمران اليوم غير قطار البادية منذ قرون . وطائرة هذا القرن غير الأطيار التى كنا نحسدها على ملكية الجو . فلكل زمن تفكيره وتعبيره . ولا مناص من تغيير التعبير إذا تطور التفكير .

نحن اليوم فى جيش لجب من الأدوات والآلات . ولا غنى لنا عن أسماء لها انظر كم أداة فى الأوتوموبيل وفى المطبعة ولا سيما مطبعة الروتاتيف وفى الباخرة والبارجة والقاطرة الخ . لكل هذه الأدوات أسماء وضعها لها مخترعو الأدوات . ولم يكن عند أسلافنا لا أوتوموبيل ولا مطبعة ولا بارجة ولا قاطرة . إذاً فليس فى لغتنا أسماء لهذه الأدوات . فاذا بحثنا فى لغتنا عن لفظة تليق للاوتوموبيل كسيارة مثلا فنكون قد غيرنا معنى السيارة القديمة كما أننا غيرنا معنى القطار القديم . فالتغيير لابد منه للتطور ولذلك بعد الجديد عن القديم وصار لكل زمان لغته .

إذا كنا كلما استجد معنى استعرنا له لفظاً فى القديم التبس جديدنا بقديمنا ولا سيما إذا كان المعنى القديم نفسه قد وضع على الرف .

اللولب فى الدُسُر اللولبية أو الحلزونية الشكل يستعمل بدل البرغى ، هذا جديد وذاك قديم ولكن هذا درج على الألسن وذاك أهمل . وللبرغى حامولة . فإذا سألنا اللغوى أن يأتينا بلفظ عربى للحامولة فماذا يختار .

أجل لغتنا غنية بالكلم . غنية جداً . ولكنها كانت لغة العرب منذ عشرين أو أربعين قرناً فلم تعد تسعنا الآن . لغتنا غنية بالكلمات الصالحة للادب والشعر ولكنها فقيرة جداً بالكلمات الصالحة للعلوم العملية الحديثة كالكيمياء والبيولوجيا وما تفرّع منها والصالحة للفنون الآلية . فإذا أصررنا على اختيار لفظ لكل ما جد فى هذه وهو لا يحصى بالألوف بل بمئات الألوف كنا نفصل أثواب المعانى القديمة القليلة ألوفاً من الملابس للمعانى الجديدة . وهو مستحيل لأننا نرى حينئذ القديم والجديد كليهما عاريين .

إذاً فلابد من أن نقتبس الكلمات الأجنبية الجديدة للاشياء التى اقتبسناها . ويكفى أن نطوعها للصياغة العربية ما أمكن . فنقتبس كلمة الاسبيرين كما أخذنا الاسبيرين من الغرب . ونقبل كلمة ياقة التى درجت على ألسنتنا لأن كلمة طوق لا تقوم مقامها لأنها تلتبس بالقلادة .

أعنى لابد من توسيع صدر اللغة لقبول بعض الكلمات الأجنبية التى جدت لأشياء جديدة لكى تجارى روح العصر . وإذا أخذنا نبحث فى لغتنا عن كل كلمة قديمة لكل معنى أو شىء جديد كنا لا نزال نلتفت إلى الوراء ونتمسك بأهداب القديم ونصر على البقاء حيث كان السلفاء . إذاً فلا نلوم الغربيين إذا استغلوا تأخرنا هذا .

هذا شىء من وحى كتاب الأستاذ سلامه موسى ولا يمكن استيفاء جميع مباحثه إلا إذا نقلنا الكتاب برمته إلى هذه العجالة فخير للقارىء الذى تطيب له هذه الأبحاث أن يطالع الكتاب نفسه

أوافق الأستاذ سلامه على مشروع تبسيط قواعد اللغة العربية لكى نقتصد بالوقت والجهد فى دراستها ونأمن الخطأ فى استعمالها لأنها كثيرة متشعبة ويستغرق وقتاً طويلا فى حفظها . ولا يمكن أن يدرس معها الكثير من علوم العصر وفنونه . يمكن تبسيطها واختصارها جداً من غير أن ينثلم التعبير بها . وإلا نفر العدد الأكبر من طلابها منها كما هو حادث اليوم .

ولكنى لا أوافق الأستاذ على تنقيح الحروف العربية ولا إبدال الحروف اللاتينية بها . فحروفنا أفضل من كل حرف أجنبى يبدل به لها . لأنها فى القرون التى مرت انصقلت وصارت كأنها الخط المختزل . نعم إن لكل حرف صورتين أو ثلاثة . ولكن هذه الصور لا تجعل الحروف أزيد من ١٥٠ حرفاً . ومن يتعلم ٢٨ حرفاً يستطيع أن يتعلم ١٥٠ كما تعلمناها وما عانينا وتعلمها الأجانب وما تذمروا .

بقيت مسألة الحركات التى يتخذها دعاة الحرف اللاتينى سبباً لابدال الحروف . فهذه يمكن الاستغناء عنها فى كثير من مواقفها . ففى الأفعال الثلاثية لالزوم لها إلا على عين الفعل ماضياً ومضارعاً . ويستغنى عنها فى جميع مشتقات الأفعال الرباعية والخماسية والسداسية ومصادرها ، ولا حاجة لها إلا فى اسم المفعول

منها لأنها كلها معلومة النطق عند من تعلمها . وهناك كثير من الصيغ القياسية يستغنى فيها عن الحركات .

وأما أن نستعمل الأحرف الصوتية اللاتينية بدلها فى استعمال الحرف اللاتينى فنزيد الكتابة تطويلا وتعقيداً لأننا نحتاج الى ثلاثة أحرف صوتية بدل الحركات علاوة على أحرفها . فلأجل فعل ضرب نضطر أن نستعمل ستة أحرف . ولا محل هنا للتوسع فى هذا الموضوع وإنما لدى البحث الدقيق نجد أن استعمال الحرف اللاتينى لا يحل لنا مشكلة بل يزيد المشكلة تعقيداً .

نقولا الحداد

٢ ـ نظـــرات
في دائرة المعارف الاسلامية
الترجمة العربية
للأستاذ كوركيس عواد

ونضيف الى ما تقدم بيانه ، ان « تاريخ إربل » هذا ، نقل أغلبه الى العربية ، ونشر هذا المنقول فى مجلة « النجم » الموصلية فى أعداد سنواتها الثلاث الأوليات (١٩٢٩ — ١٩٣١) .

كما أن المستشرق زورل F. Zorell اليسوعى، نقله إلى اللاتينية بعنوان Chronica Ecclesiae Arbelensis (Roma, 1927) .

وفى ١ : ٥٧٤ ا ٦١ قرأنا إسماً شرقياً بأحرف غربية هكذا (Jabalaha III) . قلنا : الجاثليق النسطورى « يابالاها الثالث » المتوفى سنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) وإسمه إرمى بمعنى « هبة الله » أو « عطاء الله » . وترجمته واردة فى كتاب « أخبار فطاركة كرسى المشرق » من كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١٢٢ — ١٢٥ طبعة جسمندى فى رومية) ، وذخيرة الأذهان فى تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لنصرى (٢ : ١٢ — ٢٢) ، وسيرة مار يابالاها (النص الإرمى ، نشره بيجان فى باريس سنة ١٨٨٨ ثم سنة ١٨٩٥) . وقد ترجمها المستشرق شابو J. B. Chabot إلى الفرنسية بعنوان :

Histoire de Mar Jabalaha II [Revue de L'Orient Latin. Vol I, 1893 pp. 50 -61?, Vol II, 1894 pp. 73-143, 235-30?].

ثم نقلها منتكومرى J. A. montgomery إلى الانكليزية بعنوان The History of Yaballaha III Nestorian Patriarch. (New York, 1927.)

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٣ تصحف اسم شرقى مشهور ، فقيل فيه « أسمانى » وصوابه « السمعانى » وهو يوسف سمعان السمعانى المارونى ، رئيس أساقفة صور ، المتوفى سنة ١٧٦٨ م ، صاحب التآليف الشهيرة ، وبالأخص تأليفه العظيم الذائع الصيت الموسوم بـ « المكتبة الشرقية » Bibliotheca Orientalis (4 vols, Rome, 1719 - 1728)

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٩ ورد ذكر البطريق سيمون الكلدانى وصوابه : البطريرك شمعون الكلدانى .

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٢٣ و ٢٨ الرهبان اللازاريون وكان الأحسن أن يقال الرهبان العازريون ، نسبة إلى « العازر » المذكور فى إنجيل يوحنا (١١ و١٢ : ١ — ١١) .

وفى ٢ : ٩٨ ب ٦ و ٨ ثابت بن قره . والصواب : ثابت ابن قرة (بضم القاف وتشديد الراء وفتحها وفى الآخر هاء منقوطة).

وفى ٢ : ٢٢٣ ا ٧ شور بن العطاف . قلنا : الذى فى تاريخ الطبرى (١ : ٤٤١ طبعة دى غويه) : شمر بن العطاف .

وفى ٢ : ٢٢٣ ا ١٥ و ١٨ ورد ذكر دنهه . وصحة هذا الاسم « دنحا » وهو الجاثليق النسطورى المتوفى سنة ١٢٨١ م . وترجمته فى كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١٢١ — ١٢٢) . وقد فسر أبو الريحان البيرونى لفظة « دنحا » بقوله إنه « عيد الدنح نفسه ويوم المعمودية الذى صبغ فيه يحيى بن زكرياء المسيح وغمسه فى ماء المعمودية بنهر الأردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمره » (انظر : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٩٣ س ٣ — ٤ طبعة سخو) . وتفسير البيرونى لهذا الاسم يتفق وما ورد عنه فى المعاجم الإرمية المختلفة .

وفى ٣ : ١١ ا ١٢ و ٢٣ ؛ ٣ : ١٤ ب ١٨ ورد اسم « سيمون » مصحفاً من « شمعون » وقد مر بنا مثل ذلك آنفاً .

وفى ٣ : ١٤ ا ١٨ جاءت هذه العبارة : « وكذلك تفسير الإنجيل لداذيشوع(١٣) Dadiesu (وردهذا الاسم Jesudad) ، انظر Duvat ... » انتهى

قلنا : لا معنى للرقم ١٣ المحصور بين قوسين ، وفى الأصل

الفرنجي وضع بين القويسين إشارة الاستفهام هكذا (؟) .

ثم إن « يشوعداد » و « داديشوع » هما بالحقيقة إسم إرمى واحد ، بتقديم أحد شطريه على الآخر . فمعنى يشوع : يسوع ، أي يسوع المسيح ، ومعنى داد : حبيب أوصديق . كما أن Cuvat صوابه Duval وهو المستشرق الفرنسي الشهير روبنس دوفال ، المتوغل في الآداب السريانية .

وفي ٣ : ١٢٤٨ ٤ ستحاريب . صوابه : سنحاريب .

وكذلك في ٣ : ٢٤٩ ب ٢٥ ابن الفداء ، والصواب : أبو الفداء . ولعل هذا الوهم والذى قبله ناشيء عن الطبع .

وفي ٣ : ٢٦٤ ب ٨ خسرو أنو شروان . والمشهور في المراجع العربية القديمة : كسرى أنو شروان .

ومن الأوهام التي تسترعي الأنظار ، ماورد في ٣ : ٣٤٤ ١١ حيث ذكر هناك اسم يوسفوس وكتب بإزائه بالفرنجية Eusébe قلنا : الصواب في Eusébe إنه « أوسابيوس » وهو رجل نصراني كان أسقفاً على قيسارية من بلاد الروم ، صنف تاريخاً كنسياً نفيساً عرف بـ « تاريخ أوسابيوس القيسري » أو القيسراني . وقد عاش سنة ٢٦٧ — ٣٤٠ م .

أما يوسفوس الذى يكتب اسمه بالفرنجية Josephe أو Josephus فمؤرخ يهودي ، دون تاريخ اليهود ، عاش سنة ٣٧ — ٩٥ م . فأين هذا من ذاك ؟

ومن التصحيفات الظاهرة للعيان ، ماورد في ٣ : ٣٥٩ ب ٩ و ١١ فقد كتب هناك « مردويج بن زياد » . والصواب إنه « مرداويج بن زيار » (الديلمي) على ماهو مسطور في كثير من المراجع التاريخية . انظر مثلا : صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبي (ص ١٥٤ طبعة دى غوية) ، وتجارب الأمم لمسكويه (٥ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٨ ، ٣١٠ — ٣١٥ طبعة امدروز) وغيرهما .

وفي ٣ : ٤٢٩ ١ ١١ نبوشادنزر . والمشهور أن اسمه نبوخذ نصر . فقد ورد ذكر هذا الملك البابلي في مواطن عديدة من التوراة (راجع مثلا : سفر الملوك والأيام ،وعزراء، ونحمياء،واستير وإرميا ولا سيما في دانيال . كما أن العرب عرفوه باسم بختنصر . قال الطبرى (١ : ٦٧١) : فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل ، وهو نبوخذ نصر ، فعربته العرب » .

وفي ٣: ٤٧٣ ١ ٢٤ الهمزاني . وصوابه الهمداني (بالدال المهملة)

ومن الأعلام التي استوقفتنا أثناء المطالعة ماجاء في ٣ : ٦٨٣ ١ ٢١ ـ ٢٢ حيث قال : « ووصفها نيرش Nearch ... » والذى يبدو لنا أن اللفظة الفرنجية مختصرة من Nearchus نرخس أحد قادة جيش الإسكندر المقدوني في حملته على بلاد الهند ، فانه قاد الأسطول اليوناني سنة ٣٢٥ ق‌م من نهر السند إلى البحر الهندى ميمماً شطر السواحل الفارسية حتى بلغ مصب دجلة في الخليج الفارسي . ثم إنه طاف حول البلدان العربية حتى بلغ برزخ السويس . وقد أودع حديث بعثته البحرية هذه في كتاب وقفنا على ترجمته الانكليزية التي نقلها W. Vinsent من المصادر الإغريقية ، بعنوان : TheVoyahe of nearchus from the Indus to the Euphrats. (London, 1797)

وقرأنا في ٣ : ٦٩٠ ١ ١١ هذه الكلمة « وفهارس Chiha » وكأن هذه التسمية خفيت على اللجنة ، فأبقت على أصلها الفرنجي . والحال أنه يقصد به «حبيب شيحا» وهو رجل سوري الأصل ، أقام ببغداد مدة ، ووضع لها تاريخاً بالفرنسية وأخبار أسرة شيحا في مجلة الآثار الشرقية (٤ «١٩٢٩» ص ٤١٨ و ٤٧٠) .

وفي ٣ : ٦٩٢ ١ ٧ Layand وصوابه Layard .

وفي ٤ : ١٥ ١ ٢٤ بكر صبيحي . والصواب : بكر سوباشي راجع تفسير لفظة « سوباشي » في مقال للأستاذ المحقق يعقوب سركيس (مجلة غرفة تجارة بغداد ٥ (١٩٤٢) ص ١٦٩ـ١٧٠) .

وفي السطر الأخير من ٤ : ١٦ ١ وكذا في بعض حواشي هذا البحث ، تصحف اسم عبد الرازق الحسني إلى الحسيني .

وفي ٤ : ٤٠ ١ ٢١ زين الدين على كوجوك بن بكتكين . والذى في الكامل لابن الأثير (راجع الفهارس) : زين الدين على كوجك بن بكتكين .

ومن الأوهام التي جاءت من الأصل الفرنجي اسم سلمنصر الثاني (٤ : ٥٧ ١ ٤ و ٢١) وصوابه : شلمنصر الثالث . راجع بهذا الشأن .

L. W Kinc: Bronze Reiiefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria B.C. 860-825 London 1915 p. q.

(يتبع) **كوركيس عواد**

جزر الهند الشرقية

للأستاذ سوكارنو الصغير

نحاول في هذه الأسطر أن نصور الحياة الحديثة في جزر الهند الشرقية ليطلع القارىء على حياة أمة شرقية يبلغ عددها سبعين مليونا ، تجمع شملهم وحدة الآمال والمقاصد نحو حياة حرة ! ...

يطلق التاريخ الحديث على مجموع الجزر المنتشرة بين آسيا واستراليا ـ اندونيسيا ـ وهي كلمتان ركبتا تركيباً مزجياً . الكلمة الأولى (Indos) وهي بمعنى الهند ، والكلمة الثانية (Nesos) بمعنى الجزائر . وفي الاصطلاح السياسي ، تطلق على المستعمرات الهولندية سابقاً . وأشهر الجزائر الأندونيسية : جاوا وسومطرة ، وبورنيو ، وسيليبيس ، وبالي ، وسمباوا ، وغينيا الجديدة ، وجزائر الملوك . وهناك جزر تعد بعشرات الشات ، ويبلغ سكان أندونيسيا سبعين مليونا .

سكن الشعب الأندونيسي هذه الجزر قبل ميلاد المسيح بخمسة آلاف سنة. شيدوا فيها حكومات ذات حضارة ومدنية ؛ وكانت ديانته البوذية التي جاءته من جنوب الهند . ويرجح المؤرخون أن سكان اندونيسيا أتوا من الهند ، إذ أن الجزر الجزر الأندونيسية الدانية من البر الأسيوي كانت متصلة به . وبقوة الأمواج المتلاطمة على السواحل الأسيوية انفصلت قطع منها وتكونت عدة جزر . واللغة الجامعة للتفاهم هي اللغة السنسكريتية . وتوجد للآن في جزيرة جاوا آثار قديمة من العهد الهندوكي ، أشهرها (بوروبودور) وهيا كل المعابد البوذية ، وتماثيل بوذا . وقد نقبت البعثات الغربية في جزيرة جاوا فوجدت فيها آثار أقدم انسان نشرتها الصحف بوقتها . ومن أعظم الحكومات التي أسسها الشعب الأندونيسي ، امبراطورية مجاپائيد وامبراطورية سريويجايا وتمدان بالنسبة للظرف الحاضر من كبريات الدول ذوات الاستعمار ! ولما بدأ الانحلال الشرقي وأفل نجمه الساطع بعد قرون زاهرة بالعلوم والآداب والحضارة والمدنية أصيبت أندونيسيا بالانحلال والضعف أيضاً . وبدأ دور الغرب في احياء العلوم وانشاء حضارة مؤسسة على المادة ؛ فرحل اليها الأوربيون للتجارة عن طريق رأس الرجاء .

وينقسم التاريخ الأوروبي في أندونيسيا الى قسمين :

ا ـ العصر البرتغالي والأسباني من ١٥٠٠ — ١٦٠٠ م .

ب — العصر الهولندي ـ من عهد الشركة الشرقية الهندية (V. O. C.) ١٦٠٠ — ١٨٠٠ ثم عصر الاستعمار من ١٨٠٠ — ١٩٤١ م .

ثم توحدت الشركات الهولندية في شركة واحدة بأمر من السلطات العليا في هولندا لأسباب أهمها : ـ

١ ـ افساح المجال للشركة في انماء تجارتها والقضاء على التنافس الفردي .

٢ — التضييق على الشركات البرتغالية والانكليزية .

٣ — مقدمة لاستعمار اندونيسيا .

٤ — القضاء على الشركات الوطنية .

وتكونت الشركة كما ذكرنا باسم (شركة الهند الشرقية) وهي الدعامة الأولى في هيكل الاستعمار الهولندي ، والعامل الأساسي في اتساع نفوذه في الشرق الأقصى ! ...

وفي القرن التاسع عشر فرضت السلطة الهولندية نفوذها السياسي باستعمار البلاد سياسياً ، وأصبحت مستعمرة هولندية . وسارت اندونيسيا في طريق محدودة رسمتها السياسة الهولندية وسنت نظما وقوانين تحد من سلطة الشعب ، وتضيق ميدان حياته فأمسى الشعب عاجزا عن الدفاع عن سلامة وطنه . وبرغم التضييق الشديد حدثت عدة ثورات لتحرير البلاد من النفوذ الهولندي ؛ ففي عام ١٨٢١ قام الزعيم المسلم أمام بونجول في جزيرة سومطرة بثورة رهيبة لازالة الحكم الأجنبي عن اندونيسيا . وذهب ضحيتها عشرات الألوف من الأندونيسيين ، كما خسرت السلطة الحاكمة ما يضاهي خسارة الوطنيين . ودامت الثورة حتى عام ١٨٣٧ لوقوع مشعل نار الثورة في يد الحكومة ، ثم نفته الى جزيرة تيمور وتوفي بها . أما نتائج الثورة فهي اشعار الهيئة الحاكمة أن الشعب الأندونيسي المغلول الأيدي ، يستطيع أن يتحرك ليجاهد دفاعاً عن كرامته وشرفه ووطنه .

وفى عام ١٨٢٥ اشتعلت نار ثورة أخرى بقيادة زعيم آخر، هو الأمير ديفانغورو، وكان الشعب الأوندونيسى يعتقد أنه منقذ أندونيسيا من السيطرة الأجنبية، وقد عصفت هذه الثورة بهيكل النفوذ الهولندى وكادت تقلعه من جذوره لولا سرعة تموين الحكومة الهولندية لجيوشها المنتشرة بالذخائر، واستولى الثوار على بعض مقاطعـــات، وأدارتها الادارة الوطنية للثوار. وفى نهاية عام ١٨٣٠ قذفت السلطة الهولندية بجيوشها الى ميادين القتال وزودتها بذخائرها الكافية، فدارت معارك حامية كان الثوار يحاربون بالسلاح الأبيض أو بمـا غنموه ... ونجحت الحكومة فى اخماد الثورة وبلغت خسائرها خمسة عشر ألف جنـدى وعشرين مليون ربية. وأما ضحايا الثوار فبلغت ضعفى خسائر الحكومة.

وفى عام ١٨٧٣ حدثت ثورة رهيبة فى جزيرة سومطرة بمقاطعة آجيه. وهذه المقاطعة معقل الاسلام فى أندونيسيا، وسكانها قوم عاشوا على الحروب والقتال كالأمة العربية. ولمـا حدثت الثورة امتشق الحسام كل فرد منهم ذوداً عن كرامة الدين الإسلامى وحفظاً لشرف البلاد. والزعيم الذى قاد هذه الثورة هو (تونكو عمر). ولم تستطع السلطة الهولندية منذ استعمرت أندونيسيا أن تخضع هذه المقاطعة لشدة شوكتها؛ وكان يحكمها أمير وطنى له السيادة التامة عليها. وفى عام ١٩٠٤ استطاع الهولنديون التغلب عليها بالقضاء على الثورة وإخمادها بعد أن ضحوا تضحيات هائلة. كما ضحى الوطنيون أضعاف ما ضحاه الهولنديون. ثم أديرت المقاطعة من قِبل أمرائها تحت مراقبة السلطة الهولندية فى الأمور التى لها مساس بمصالحها.

الحركة الحديثة

فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تأسس أول حزب سياسى هود بودى أوتومو (Boedt oetomo) أى النزعة الفاضلة برئاسة الدكتور وحيدين. ويعاونه فى إدارته ونشر مبادئه وتحقيق غايته طلبة الطب بمدينة بتافيا. وانضمت إلى عضوية الحزب الطبقة المثقفة والأسر الراقية. وقام بالدعاية له فى غرب جزيرة جاوا الدكتور رادين ستومو، وفى شرقها الحاج شكرو أمينوتو وكلاهما من رجالات أندونيسيا البارزين.

ولتحقيق غاية الحزب أنشأ هيئات أولية للأشراف على تنفيذ برامجه الإصلاحية وأهم برامجه:

١ — إصلاح حالة الأمة الثقافية؛ فنشر المدارس والمكاتب وبعث لجانا صغيرة تجوب المدن والقرى لمساعدة المعلمين الصغار، وإرشادهم إلى الطرق التى يلزم أن يسلكوها فى أداء رسالتهم الثقافية.

٢ — إصلاح الحالة الاقتصادية، فأنشأ بنوكاً ومحلات تجارية لمساعدة التجار والزراع الوطنيين وإرشادهم إلى أقوم السبل إلى استثمار أموالهم وزراعة أراضيهم

٣ — إصلاح الحالة السياسية، فأنشأ النوادى والصحف. وأقام المحاضرات فى المحلات العامة لارشاد الشعب إلى سير الحالة الخارجية وتطور السياسة العالمية وعلاقة البلاد بالحكومة الهولندية

ولما كانت الأداة الحكومية فى يد الموظفين الهولنديين سعى الحزب إلى اشتراك الأمة فى أدارة شئونها، فتعين كثير من الرجال المثقفين والشبان فى عضوية المجالس البلدية والمحلية وفى المحاكم وفى إدارة الشئون المالية والثقافية والصحية والمواصلات والتعدين. وطالب الحزب بانشاء مجلس نيابى، ولكن السلطة الهولندية رفضت طلبه بدعوى أن الجو مكفهر فى ابتداء الحرب العالمية الأولى، ومضطرب لاشتداد الأزمة السياسية العالمية. وبعد مضى الحزب فى عمله أصبح الشعب كالبركان الثائر يطالب بحريته التامة!

نمت الروح القومية وانتشرت انتشارا رائعاً، وكان أقوى عامل لنموها هو شعور الأندونيسى بالحب العميق لأندونيسيا الحديثة؛ أندونيسيا الكلمة الساحرة التى جذبت سبعين مليونا من النفوس نحو حبها! فسعوا بجد نحو إعادة ماضيهـا على أساس الحياة الحديثة. وتفرق الشعب فى طرق متعددة للوصول إلى الهدف القومى. وهناك فى ميادين الثقافة والاقتصاد والتجارة والملاحة والزراعة فرق ترشد الجماهير إلى أحسن الطرق لاصلاح حالتها العامة، وقد أنشأت الحكومة الهولندية مدارس عالية ومتوسطة وابتدائية، ولكنها لا تكفى لارواء ظمأ شعب يلح فى طلب الحرية المؤسسة على العلم والعرفان. وفى أندونيسيا

كليات أسستها الحكومة الهولندية، وهى كلية الطب ، وكلية الحقوق ، وكلية الهندسة ، وكلية التجارة ، وأ كادمية حربية ، وإزاءها مدارس عالية أهلية أسستها الجمعيات والأحزاب . وأشهر المؤسسات القومية التى قامت بالاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى مؤسسة المحمدية والعائشية وأساسها دينى قومى ، ثم مؤسسة (تامن سيسوا) (Taman Siswa) وأساسها قومى ، ومؤسسها البروفيسوركى هاجر ديوانتارا ، ونال لقب الأستاذية من أكبر معهد للتربية فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٨ ويبلغ عدد المدارس التابعة للمحمدية والعائشية ثلاثة آلاف مدرسة ما بين عالية وثانوية وابتدائية ورياض للاطفال . ولها أيضاً مكاتب عامة ومساجد ومستشفيات وفرق كشافة تدعى باسم (حزب الوطن) ثم أبدل فى السنوات الأخيرة باسم (شباب المحمدية) . وللجمعية المحمدية والعائشية فروع كثيرة منتشرة فى كل مدينة وقرية فى أندونيسيا . وفى عام ١٩٣٨ طلبت المحمدية من السلطات الهولندية السماح لها بشراء باخرتين لنقل الحجاج الأندوسيين إلى الحجاز ، ولكن السلطات المحلية رفضت طلبها ! وتأسست هذه الجمعية فى عام ١٦١٢ بمجهود الحاج أحمد دحلان . وللجمعية أيضاً جريدة ومجلة لسان حالها . وهما (عادل) و (صوت المحمدية) وتعقد الجمعية مؤتمراً سنوياً فى كل مدينة فى أندونيسيا ، يحضره مندوبون من جميع فروعها . ويستمر فى الانعقاد أسبوعا كاملا تستعرض الجمعية خلاله أعمالها الماضية ثم درس الاقتراحات والقوانين المقدمة من فروعها . وعقد المؤتمرات السنوية سنة اتبعتها الأحزاب السياسية والجميات المختلفة المقاصد . وأما مدارس تامن سيسوا فيبلغ عددها الألف . وكانت أكبر خطر على السياسة الاستعمارية كما صرح بذلك البروفيسور جب الهولندى فى كتابه (وجهة الاسلام) إذ أن هذه المدارس مؤسسة على القومية . والتعليم فيها على أحدث المناهج النربية . وتبعث تامن سيسوا بعض متخرجيها الى الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والفلبين والهند لإتمام دراساتهم العالية فى جامعتها . وتصدر مجلة شهرية تعبر عن آرائها باسم (العائلة)

وأشهر الأحزاب السياسية التى ظهرت بعد حزب (بودى أوتومو) حزب الشركة الاسلامية فى عام ١٦١٢ بزعامة الحاج سكرو أمينوتو . وانتشرت فروعه فى المدن والقرى . وفى أثناء سير الحزب رفضت السلطة المحلية الاعتراف بفروعه ، لتستطيع إيجاد الخلاف بين الحزب وفروعه . ومنعت السلطة أيضاً قبوله أعضاء جددا ، وتجاه هذه السياسية المحلية أضافت إدارة الحزب كلمة واحدة الى اسم الحزب وهى (سنترال) وأصبح الحزب يدعى باسم (سنترال الشركة الاسلامية) وبذلك اعترفت السلطة بفروع الحزب

وأما برامج الحزب فهى :

١ — الدفاع عن كرامة الدين الاسلامى واشتراك الشعب الأندونيسى فى تخفيف الآلام والمحن النازلة بالأمم الاسلامية .

٢ — نشر الثقافة الاسلامية والعمل بأحكام القرآن مع الاقتباس من القانون الدولى لمسايرة التطور العالمى .

٣ — إيجاد حياة اقتصادية ليستطيع الشعب أن يعيش بها فى مركز متوسط يستغل موارد البلاد .

٤ — تربية الشعب تربية سياسية حتى يستطيع أن يدير أموره بنفسه . وكون هيئات تشريعية وتنفيذية وقضائية من أعضاء الحزب البارزين . ويعتبر هذا الحزب أكبر حزب سياسى إسلامى فى جزر الهند الشرقية ، وبلغ عدد أعضائه بعد الحرب العالمية الأولى مليونى عضو .

ولما سمحت السلطة الهولندية بعقد الاجتماعات والاشتغال بالسياسة تحت شروطها المعينة ، ظهرت على المسرح السياسى الهولندى الاندونيسى أحزاب كثيرة كلها ترمى إلى تحرير البلاد . وفيما يلى نضع للقارىء أهم الأحزاب التى ظهرت وتواريخ ظهورها بصورة مختصرة :

١ — الحزب الوطنى الديموقراطى برئاسة الدكتور دويزديكر فى عام ١٩١٢ .

٢ — حزب فاسوندان فى عام ١٩١٤ .

٣ — الحزب الشيوعى الأندونيسى بزعامة الدكتور سمعون فى عام ١٩٢٠ .

٤ — هيئة ائتلاف الأحزاب السياسية الوطنية برئاسة المستر تمرين فى عام ١٩٢٧ .

٥ — الحزب الوطنى الأندونيسى برئاسة المهندس سوكارنو فى عام ١٩٢٧ .

٦ — حزب الشعب الأندونيسي بزعامة المستر محمد طبراني في عام ١٩٣٠ .

٧ — اتحاد الشعب الأندونيسي بزعامة الدكتور رادين ستومو في عام ١٩٣٠ .

٨ — الحزب الأندونيسي برئاسة المستر سرتونو في عام ١٩٣١

٩ — حزب التربية الأندونيسية بزعامة الدكتور محمد حتى في عام ١٩٣١ .

١٠ — حزب أندونيسيا الكبرى بزعامة الدكتور رادين ستومو ، وهو مكون من حزب بودى أوتومو وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي في عام ١٩٣٥ .

١١ — حزب النهضة الأندونيسية برئاسة المستر أمير شرف الدين في عام ١٩٣٦ .

١٢ — الحزب الإسلامي الأندونيسي برئاسة المستر ويبوهو النائب بمجلس النواب في عام ١٩٣٦ .

١٣ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية (GAPI) في عام ١٩٣٩ .

والأحزاب التي استطاعت أن تصمد أمام التيار ، وتقف كالصخرة الصماء لا تزحزحها العواصف ولا الرياح هي :

١ — حزب الشركة الإسلامية الأندونيسية .

٢ — حزب أندونيسيا الكبرى .

٣ — حزب النهضة الأندونيسية .

٤ — الحزب الإسلامي الأندونيسي .

٥ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية .

الحكومة الذاتية والبرلمان

منذ ابتدأت النهضة الأندونيسية بنمو الروح القومية في عام ١٩٠٨ ، طالبت الأحزاب السياسية الحكومة الهولندية بإنشاء حكومة ذاتية ومجلس نيابي . وكانت أهداف الحركات القومية الوصول إلى تحرير البلاد مبدئياً عن سبيل إنشاء حكومة ذاتية بمجلس نيابي ، ففي أوائل الحرب العالمية الاولى طالبت الأحزاب السلطة المحلية بإنشاء مجلس نيابي أندونيسي ، ثم أجل الطلب إلى ما بعد الحرب . ولما وضعت الحرب أوزارها أنشأت الحكومة الهولندية مجلساً نيابياً مختلطاً من الوطنيين والهولنديين والأجانب واستاء الشعب من هذه السياسة . وأعلنت الأحزاب الوطنية السياسية اللاتعاونية ، وكان تأسيس المجلس النيابي المختلط (Volksraad) في عام ١٩١٨ .

وفي عام ١٩٣٧ قدم النائب المستر سو ترجو العضو بالمجلس النيابي مذكرة إليه باعطاء أندونيسيا استقلالا كاستقلال الحكومات الدومنيونية في الإمبراطورية البريطانية ، وقام بصدده مباحثات طويلة بين رجال الأمة والحكومة الهولندية ، وأخيراً رفض الطلب بدعوى أن الشعب لم ينضج سياسياً !

وفي شهر مايو ١٩٣٩ تكونت رابطة الأحزاب السياسية ، وكان أول ما قامت به هو الدعاية بين طبقات الأمة وفي دوائر السلطات الهولندية بانشاء برلمان وطني بمعناه الصحيح ، كما قامت واللجنة الأندونيسية الوطنية ، بالمجلس النيابي الدعاية للبرلمان بين أعضاء المجلس ... وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أذاعت (رابطة الأحزاب السياسية) بياناً إلى الأمة تدعوها إلى بذل جهودها وإعطاء ثقتها للرابطة لإنشاء برلمان وطني ، وفيما يلي خلاصة البيان :

« منذ تطورت الأزمة العالمية ، والرابطة الوطنية تخطو خطوات موفقة نحو رفع مستوى البلاد السياسي وإشعار العالم الخارجي أن الشعب الأندونيسي يرنو إلى حياة حرة تحت ظل حكومة وطنية متمتعة باستقلالها التام . وإن الرابطة تسعى سعياً قوياً لتحقيق مطالب الشعب الرئيسية . وهي تنظر إلى الحركات الأوروبية بعين اليقظة والحذر . وإن الظرف الحاضر الدقيق حيث يضطرب حبل السياسة العالمية يدعو الرابطة أن تضحي بمجهودات عظيمة في سبيل تحقيق البرلمان وانشاء حكومة وطنية مسئولة أمامه

إن الرابطة تدعو كافة الجمعيات والأحزاب والمؤسسات القومية وطبقات الشعب إلى تعضيدها في مطالبها في إنشاء برلمان للشعب الأندونيسي المجيد ، للوطن الأندونيسي الواحد ! »

وفي ٢٣ ديسمبر ١٩٣٩ أقامت الرابطة مؤتمراً شعبياً باسم المؤتمر القومي الأندونيسي بمدينة بتافيا عاصمة أندونيسيا ، للبحث عن الأسس الأولية لانشاء البرلمان ورفع مذكرة إلى الحكومة الهولندية بتأسيس البرلمان حسب رغبات الشعب . وقد حضر

الشرق كما يراه الغرب

٣ - المـــــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

تضم الموالد — علاوة على الناحية الدينية — بعض عناصر اللهو وضروب التسلية التي اشتهر بها المصريون . بل إن جميع الاحتفالات الدينية في مصر وفي غير مصر ، وفي الأزمان الحديثة والقديمة على السواء — لم تكن احتفالات دينية بحتة ، بل كان يداخلها دائماً شيء من اللهو والعبث . فهوميروس مثلا يذكر لنا الشيء الكثير عن الألعاب الشعبية ، وأنها كانت تؤلف قسما هاماً من أعياد اليونان الدينية . والمصريون معروفون بروحهم المرحة التي تحب الانطلاق ، فهم لا يتركون فرصة تمر أمامهم حتى يغتنموها ويطلقوا أنفسهم العابثة على سجيتها ، ويملأوا الدنيا لهواً وعبثاً ، ويثيروا حولهم أكبر ضجة مستطاعة ، كما هي عادتهم في المناسبات وفي غير المناسبات

المؤتمر مندوبون من كافة الأحزاب والجمعيات الوطنيـة . ورجال السياسة والصحافة والأدب والأعمال . ودام المؤتمر لنهاية يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ . ثم رفعت الرابطة مذكرتها الى السلطات الهولندية بأندونيسيا ومنها أرسلت إلى الهيئات العليا بهولندا لدراستها . وبعددراسات دقيقة أشعرت الحكومة الهولندية رابطة الأحزاب بتأجيل الطلب لأن الشعب لم ينضج سياسياً أيضاً . فضلا عن أن الحرب العالمية الثانية دائرة رحاها .

ولعلنا في هذه الكلمات الموجزة استطعنا أن نعطي القارىء صورة مصغرة مختصرة عن الحياة الحديثة في جزر الهند الشرقية أو إندونيسيا ، وهي حياة أمة شرقية تعدادها سبعون مليوناً . لا نستطيع أن نغضي الطرف عنها وهي همزة وصل بين استراليا وأمريكا وبين آسيا وأفريقا وأوربا ، ووجودها ضروري لتحفظ توازن القوى في الشرق الأقصى !

سوكارنو الصغير

وجو الموالد جو صاخب ، كله ضجيج وترتفع فيه الأصوات المتنافرة من كل جانب ، ولكنها على تنافرها يقوم بينها نوع من الائتلاف والانسجام يجعل لها وقعاً غريباً في النفس ، ففي ناحية نجد مشارب (البوظة) تنبعث منها أصوات الغناء السوداني : أبوه أبوه من السودان :

سرجوا الصندوق يا محمـد لكن مفتاحه معايا ... الخ

يصحبه توقيع جميل منتظم على الصناجات ، ولكنه يضيع ويتلاشى أمام دوي موسيقى غريبة صاخبة منبعثة من (شخشاخة[1]) كبيرة ، ويصحب ذلك الرقصة السودانية المعروفة باسم الرانجا أو الرانجو[2] ؛ ومن ناحية أخرى ترتفع أصوات باعة الليمونادة والتمر هندي والعرقسوس والشربات وباعة السجاير ومن ورائهم (جامعو الأعقاب) ؛ ومن هنا وهناك ترتفع أصوات باعة (عرائس المولد) يتغنون بمزايا عرائسهم ويعددون صفاتها وجمالها ، وقد زينوها بأجمل زينة ، ووضعوا إلى جانبها خليطاً كبيراً من الأرانب والكلاب والدجاج والبط (وكل ذلك مصنوع من الحلوى بلا ريب) . ويتفنن باعة العرائس في عرض عرائسهم ، وهم في الغالب لا يكتفون بعرض العرائس وحدها ، بل يأتون لكل عروسة منها (بعريس) ويسكنان الاثنين معا في حجرة صغيرة بها مخدع ومرايا وما إلى ذلك ... وكثيراً ما يستوحي باعة العرائس القصص الشعبية مثل عزيزة ويونس أو قصة أبي زيد الهلالي أو قصة (أبو علي سرق المعزة) في عمل بعض النماذج الطريفة ... وفي هذا الجو الصاخب الرائع تنتشر روائح قوية نفاذة مستطابة وخاصة عند الاجانب ... تلك هي روائح الطعمية والفول المدمس والكفتة والشواء والارز وغيرها من الاطعمة الوطنية الطيبة النكهة .

وتنتشر المسارح و (التياترات) بكثرة في الموالد ؛ وبعض

---

(١) يرى ماكفرسون أن الشخشاخة في الأصل من اختراع المصريين القدماء ، وأنها انتشرت بانتشار عبادة إيزيس ، وهي لاتوجد اليوم إلا في جنوب مصر ولا يستعملها في القاهرة إلا السودانيون

(٢) الرنجو في الأصل اسم آلة موسيقية وترية ، ثم أطلقت بعد ذلك على الرقصة كلها : ويرى حسن أنيس باشا ، وهو من علماء الموسيقى في مصر — أن الرانجو تمت إلى الموسيقى البدائية بصلة وأنها قريبة كل القرب من موسيقى الجاز عند الأوربيين .

هذه المسارح تطلق عليها اسم (مسرح) من باب التجوز فقط لصغر حجمها ، كتلك (المسارح) الخاصة بالأراجوز وخيال الظل التى لا تزيد أجر الدخول فيها على مليمين ، ويجلس المتفرجون فى (الصالة) على مقاعد خشبية ليشاهدوا (العرض) ويستمعوا إلى الموسيقى . بيد أن هناك مسارح أكبر من هذه يعرض فيها شىء لا بأس به من التمثيل والرقص . وفى خارج هذه المسارح توجد منصتان على جانبى باب الدخول ، تحتل إحداهما فرقة موسيقى نحاسية (تشنف) آذان الجمهور والمارة بنغماتها المدوية ؛ أما المنصة الأخرى فيخرج إليها من آن لآخر — خلال فترة الاستراحة — بعض الممثلين والراقصات ليعرضوا على الجمهور فى الخارج شيئاً من بضاعتهم الفنية عسى أن يثيروا فيهم الرغبة والشوق للدخول .

ويعمل فى هذه المسارح — علاوة على الممثلين والراقصات — نفر من الرجال قد تخصصوا فى (تحريك العضلات) ، كما نجد فيها أيضاً بعض الراقصين من الرجال يأبون أن يرقصوا إلا فى ملابس النساء وفى زينتهن . ومن أشهر هؤلاء الراقصين راقص اسمه حسين فؤاد ، يوزع على المتفرجين — بعد العرض — بطاقة عليها صورته فى زى امرأة وقد كتب تحتها : — الراقص المصرى الشهير حسين فؤاد .

وللمصريين ولع شديد بمشاهدة ألعاب القوى ، ولذا لا يخلو أى مولد من وجود بعض خيام صغيرة تعرض فيها هذه الألعاب من مصارعة ورَبْع ، ومن أشهر الذين يعرضون هذه الألعاب عملاق ضخم الجثة يسمى نفسه (الأستاذ شوال) ولهذا الأستاذ شوال (جوقة) تضم بين أفرادها قزما صغير الجسم كريه المنظر ولكنه مع ذلك يتمتع بقوة جسدية هائلة بحيث أنه يستطيع أن يرفع بسهولة رجلا يكبره بثلاثة أضعاف حجمه .

ومن الألعاب الطريفة المستحبة عند المصريين فى الموالد لعبة (أبو فيران) . والأدوات المستخدمة فى هذه اللعبة منضدة صغيرة مستديرة مثبت على حافتها منازل صغيرة لكل منها فتحة (أو باب) تكفى لمرور الفأر ، ولكل بيت رقم خاص . ويتراهن المتراهنون على أى البيوت سوف يدخلها الفأر ، ويضع كل منهم نقوده على البيت الذى يختاره . ثم يخرج (أبو فيران) فأره الأبيض الصغير من جيبه وبطلقه يرتع ويجرى على المنضدة كيف شاء ؛ فالبيت الذى يدخله الفأر يربح صاحبه الرهان ، وقد شاهد ما كفرسون صبيا صغيراً بارعا كان يكسب الرهان دائماً دون أن يفقد نقوده قط ، فراقبه خلسة حتى عرف السر فى ذلك ؛ إذ كان الصبى الصغير يغافل من حوله ويضع قطعة من الجبن فى البيت الذى يختاره ؛ وكانت رائحة الجبن كفيلة بجذب الفأر إليها .

ولكن ، مهما كثرت الألعاب الشعبية فى مصر ، ومهما تعددت مظاهر اللهو والمرح — فإنها واحدة لا تتغير فى جميع الموالد ؛ فما نراه فى موالد الوجه البحرى تجده فى موالد الوجه القبلى دون أدنى تغيير . والأعجب من ذلك أن نفس الوجوه تظهر فى كل الموالد وخاصة وجوه الممثلين والأراجوزات والحلاقين الذين يختنون الفقراء مجاناً . والواقع أن هناك فريقاً كبيراً من هؤلاء يقفون حياتهم على التنقل بين البلدان لتكسب من الموالد .

* * *

ونحب فى النهاية أن نكرر ما سبق أن قلناه من أن كتاب ما كفرسون سد فراغا كبيراً وأسدى خدمة جليلة لدراسة الحياة الشعبية فى مصر الحديثة ، فالواقع أن هذه الناحية لم تحظ بكثير ولا قليل من الدراسة والعناية الجديرة بهما ، وعسى أن يقوم بعض علمائنا ممن يعنون بدراسة (الفوكلور) بمتابعة الخطوات التى خطاها ما كفرسون وغيره من أمثال إيفانز بريتشارد والأستاذ هوكارت وبذلك يقدمون أجل الخدمات للعلم ويؤدون بعض ما يجب عليهم نحو وطنهم .

(انتهى)

أحمد أبوزيد

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

ملابسك من الفول السودانى :

ولا تعجب . فيستطيع علم الكيمياء الآن أن يحول كل ما يقع تحت حسك من مواد إلى مواد جديدة لا تتصور نشوءها منها . وقد لا يطول الزمن أيضا حينا يتحقق حجر الفلاسفة فيحول الكيماويون الرصاص أو القصدير وربما التراب إلى ذهب . فلم يعد علم الكيمياء الآن ينظر إلى مظاهر المواد بل إلى خواصها وجواهرها .

والحرير والصوف اللذان تشاهدهما كل يوم ليسا إلا أنسجة زلالية أى أن أساسها مثل زلال البيض الذى لا ترى بينه وبين الصوف أية صلة . وقد ظهرت فى الأسواق التجارية منسوجات صناعية . ولا تمر شهور حتى تكون بعض ملابسك من هذه المواد وأحدها النسيج الحديث المعروف باسم «الأرديل» الذى يصنع من زلاليات الفول السودانى .

وأول نسيج صناعى ظهر فى المجال التجارى من أصل زلالى هو القماش المعروف باسم « لانيتال » وهو يشبه الصوف فى كثير من خواصه وساعد على رواجه وصقل صناعته حرب إيطاليا والحبشة وتوقيع العقوبات الاقتصادية على الأولى وحرمانها من الخامات والمواد الأولية وقد استخرج هذا النسيج من اللبن بعد عدة عمليات كيماوية تعرف باسم عملية فيرتيتى .

واشتدت الحاجة بإيطاليا إلى المنسوجات لتزويد جنودها بالملابس فسعى علماؤها إلى صنعها من « شرش » اللبن . ولا سيما أن حرمانها من تصدير الجبن وفر لديها مواد اللبن مما شجع على صقل صناعة اللانيتال .

ولفتت هذه المغامرة الإيطالية أنظار علماء العالم فعرض كورتولد فى عام ١٩٣٨ فى أحد معارض مانشستر أنسجة صناعية . وظهرت فى أمريكا أنسجة عرفت باسم « أرلاك » .

أما نسيج الأرديل فيرجع أول عهد التفكير العلمى فيه إلى عام ١٩٣٠ حين قال الدكتور أوستبورى من جامعة ليدز بأنه من الميسور تحويل زلاليات الفول السودانى إلى أنسجة ؛ وقد أيده فى قوله البروفسور سيبنال من جامعة كمبردج وكان مشهوراً بسعة معارفه عن خواص زلاليات النباتات .

وبدأت سلسلة من التجارب لإذابة زلاليات البذور واستخلاص الألياف منها حتى تكللت التجارب بالنجاح وحصلوا على ألياف تشبه الصوف فى كثير من خواصها .

وانتقلت عدوى البحث إلى معهد الصناعات الكيماوية الامبراطورى وبدأ تجاربه بطرق مثالية يختبر صلاحية البذور المختلفة ليدرس كمية الزلاليات التى تصلح فى كل منها لإنتاج الألياف المرموقة .

واستمرت التجارب فترة تيسر فيها فصل مواد الفول السودانى وأتيح منها الحصول على الألياف المطلوبة وعلى استخراج نوع من زيت الأراشيس الذى يصلح فى عمل المسلى الصناعى . ووجد أنه يحتوى على ٣٨ ٪ من وزنه من الزلال ومن ٤٨ إلى ٥٠ ٪ من زيت الأراشيس وعلى ١١ ٪ من مواد نشوية وسكرية .

ومعنى هذا أنه يمكن استغلال كل مادة الفول السودانى لأن المواد النشوية والسكرية غذاء جيد لكافة الحيوانات كما أن الطن من الفول يصلح لإنتاج ٥٠٠ رطل من ألياف الأرديل فى لون « كريم » .

واختبرت خواص الألياف الناتجة فوجد أنها تمتص الرطوبة مثل الصوف ولها قدرته على التدفئة وغيرها من الخواص التى تميز الصوف عن غيره من الألياف .

وانتقلت التجارب إلى مرحلة صنع القماش من الألياف الجديدة فأثبتت أن أفضل طريقة لاستخدامها هى خلطها بمقدار مساولها من الصوف وعلى هذا الأساس يتعذر على أى إنسان أن يفرق القماش الجديد من قماش الصوف الصافى وإن كان فى الواقع يفضله لأنه أرخص منه فى أسعار الإنتاج .

واتجهت تجارب الأمريكيين إلى ناحية أخرى فأقبلوا على دراسة زلاليات الذرة التى تعد قليلة القيمة من الناحية الغذائية .

ومن ثم تفرعت الأبحاث فى كل اتجاه وهدفها استغلال المواد القليلة الاستغلال وخاصة المواد التى تعتبر عديمة المنفعة مثل التالف من الصوف والحرير والجلود وجلود الحيوانات وريش الطيور وكل ما يحتوى على مواد زلالية .

والمعروف أن العلماء توجهوا من زمن بعيد إلى البحث عن ألياف تصلح للنسج من المعادن . وهو ما يعرف « بالنيلون » وهو

يختلف عن البحث الذى نحن قبله بأن بحثنا نباتى محض .

واتجه البحث فى ألمانيا قبل نشوب الحرب إلى ناحية أخرى إذ جرب العلماء استخراج ألياف مشابهة للصوف من السمك . وكانت خلاصة أبحاثهم الحصول على خليط من الزلال والسيلولوز .

ومن الطبيعى أن جميع المواد الغذائية التى تناولها تصلح مادة جيدة لهذه التجارب وخاصة اللحوم ؛ كما حاول بعض العلماء فى النمسا . ولكن بعيدى النظر يفضلون الاقتصار فى تجاربهم على المواد القليلة القيمة الغذائية أو البقايا التى يتخلص منها الإنسان .

على أنه من الثابت أن المنسوجات الصناعية التى تستخرج من هذه المواد التالفة ستكون بالغة الأثر فى الميدانين الاقتصادى والتجارى نظراً لرخص أسعارها ، وفى كثير من الأحوال لجمال مظهرها وقابليتها لإظهار مودات جديدة .

زرع بدون تربة

لم تعد رمال الصحراء عديمة الفائدة من الناحية الزراعية . فبفضل الأبحاث الكيمائية الزراعية الأخيرة التى أجرتها بعض المعاهد الأمريكية تيسر الاستغناء عن التربة وزرع المنتجات الزراعية فى الصخر على أن تغذى البذور بالمواد الكيماوية الضرورية لحياتها .

وظهرت هذه الحاصلات بكثرة ساعدت كثيراً على توفير المواد الغذائية للقوات المحاربة . وطريقة الزراعة الكيميائية هى نثر البذور فى طبقة من الحصى والرمال والأحجار سمكها عشرة سنتيمترات تمهد مائلة وتنتهى مساحات أرضها بمجموعة من الحفر تزود بالطلمبات التى تمتص محلولها المحلى بالمواد الكيماوية اللازمة ثم ترسلها فى أنابيب تفرغها فى أعلى المنحدر الزراعى فتأخذ منه البذور كفايتها ثم يعود الباقى إلى الحفر ليعاد امتصاصه وتفريغه على البذور عدة مرات كل يوم .

لا حرث ولا عزق

ومن فوائد هذه الطريقة الاستغناء عن حرث الأرض وعزقها كما أنها تعرض جذور النبات للهواء فيحصل على مقدار وافر منه وتقل فى حقول النباتات الكيميائية الحشرات الضارة .

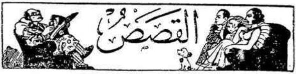
وأنتج الفدان الواحد من الأرض بهذه الطريقة ٢٥٠ طناً من الطماطم و ٥٠٠ بوشل من البطاطس ووفرت عشرة فى المائة من النفقات الزراعية التى تتكلفها الأرض العادية .

وأجريت التجارب التحليلية لمعرفة المحتويات الغذائية للحاصلات المزروعة بالطريقة الكيميائية فظهر أن كمية الفيتامينات الموجودة فى السبانخ والطماطم توازى ثلاثة أضعاف الكمية الموجودة فى مثيلاتها من مزروعات التربة .

وبتحليل مائة رطل من التبن وجد أنها تحتوى على ١٣ رطلا من البروتينات و ٤٠ من الكربونات و ٢٠ من السيلولوز و ١٠ من الفورفورال و ٨ من اللجنين و ١٠ من الهومس وثمن هذه المواد يوازى أربعة أضعاف ثمن التبن كله .

ويسرت هذه الطريقة على رجال الصناعة فى أمريكا سبيل الحصول على كثير من المواد الصناعية كالبترول والمطاط وغيرهما من المواد الضرورية التى ما زال أمر الحديث فيها من الأمور العسكرية . على أن طريقة الزراعات الكيميائية ستحدث انقلابا كبيراً فى عالم الزراعة والصناعة بعد الحرب كما ستخفض ثمن المواد الغذائية تخفيضاً كبيراً .

فوزى الشتوى



لؤلؤة الحب

للكاتب الإنكليزى هـ . م . ويلز

بقلم الأستاذ عيسى حليم

من رأى الباحثين فى علم الأخلاق أن اللؤلؤة هى أقرب الحجارة الكريمة المتبلورة إلى النفس ، لأنها أثر من آثار الألم لكائن حى ، وليس فى طاقتى التعليق على هـذا القول ، لأن سحر الجواهر لا يحركِ أى وتَر من أوتار روحى ، وبريقها الزجاج لا يؤثر فى على الإطلاق ، كما أنه ليس بوسعى أن أقطع برأى حول ذلك الجدال المتطاول : هل لؤلؤة الحب أشجى القصص ، أم هى خرافة شائقة عن خلود الجمال ؟

إن دارسى النثر الفارسى فى العصور الوسطى قد ألفوا هذه القصة والجدال الدائر حولها . والقصة قصيرة ، إلا أن تفسيرها يشغل حيزاً كبيراً فى أدب تلك الحقبة . فلقد عدت قطعة شعرية كما يجوز اعتبارها كناية تشير إلى هذا أو إلى ذاك . وساهم رجال الدين بنصيب وافر فى تأويلها ، وعنوا بها بوجه خاص كقصة تلقى ضوءاً على بعث الأجسام بعد الموت ، ويضرب بها المثل أولئك المشتغلون بالفن والجمال ، وكثيرون يعتبرونها مجرد تعبير جرىء عن حقيقة بسيطة

جرت حوادث القصة فى شمال الهند ، وهى أصلح تربة للحب السامى فى جميع بقاع العالم ، فهى بلاد الشمس الوهاجة والبحيرات والأدغال الكثيفة والتلال والأودية الخصبة ، وهناك توشك الجبال الشاهقة أن تنطح قبة السماء ، أجل هناك القمم والأخاديد حيث الثلج الدائم الصعب المنال . فى هاتيك الربوع كان يعيش أمير فى مقتبل العمر يطيعه الجميع . وفى يوم ما التقى بفتاة طلقة المحيا ، جمالها نِدّ النواظر بحيث يعجز عنه الوصف ، فجعلها ملكته واضعاً قلبه عند قدميها . كان الحب الموثق متبادلا بينهما ، مليئاً بالمسرات وبالسعادة لدرجة لم يحلم بها أحد من قبل . ومكثا يتفيآن ظل الهناءة ، موفورى السعادة لمدة سنة وبضعة شهور ، ثم ... فجأة ماتت . بلدغة سامة ، بينما كانت تطوف فى أرجاء إحدى الخمائل ... !

أجل ، ماتت ... ولبث الأمير حيناً مسجى فى حالة هامدة صامتة من جراء الحزن البالغ واللوعة الحرّى ، حتى إن البعض خشى عليه أن ينتحر، مع العلم بأنه معدوم النسل والأخوة ليخلفوه. واستمر يومين منقطعاً عن الأكل مكباً على وجهه عند أرجل السرير الذى أضجع عليه جسدها الفاتن ، ثم نهض وأصاب شيئاً من الطعام ، وانطلق فى سكون انطلاق من آلى على نفسه أن يعمل عملا عظيما ، وأمر أن يوضع جسدها فى نعش من الرصاص الممزوج بالفضة ، وأن يوضع هذا بدوره فى نعش آخر من أغلى الأخشاب التى تعبق بالعبير ، وأن يُكسى بالذهب ، وأن يكون حول ذلك كله نعش من الرخام المعرق المرصع بالزبرجد . وبينما كان العمل جارياً ، دأب على قضاء معظم أوقاته بجوار الغدران ، وفى المنازل ذات الرياض ، وفى الخيم والغابات ، وفى غرف القصر تلك التى شاهدت مراتع فتونهما ، متأملا فى حسن تلك التى فقدها ، ثم إنه لم يمزق ثيابه ولم يحث الرماد على نفسه ، ولم يتشح بالحداد كما كانت العادة ، لأن حبه كان أسمى من أن يتسع لهذا الشطط ، وأخيراً عاد إلى مستشاريه وإلى شعبه ، وأدلى إليهم بما كان مزمعاً أن يفعله

قال إنه لم يعد بمقدوره أن يقرب امرأة ، بل إنه لا يحتمل حتى التفكير فى النساء ، ولذلك سيحاول إيجاد فتى لائق ليتبناه وليدربه كى يكون خلفاً له ، وإنه سيواصل القيام بأعباء الإمارة كما يليق به ، على أنه سيركز قواه بقدر استطاعته ، وسيخصص جميع ثروته وكل ما يمكنه حشده ، ليشيد ضريحاً لمالكة فؤاده الغالية التى لا مثيل لها ، وستكون بناية ذات حسن مكتمل

وجمال بالغ، بحيث تفوق أية بناية أخرى شيدت فى الماضى أوستشاد فى المستقبل ، ولتكون أعجوبة إلى الأبد ، وليحتفظ بها البشر كنزاً ثميناً ، حتى تتناولها الألسن بالإطراء ، وتشتد الرغبة فى مشاهدتها ، ولتكون نجعة الرواد من جميع أطراف الأرض ، فيظل اسم معبودته وذكراها حيين ماثلين للعيان ، وأضاف أن هذه البناية سيطلق عليها اسم « لؤلؤة الحب »

وقد رضى مستشاروه وشعبه بأن يفعل هذا وقد فعله !

وتتابعت السنون وهو قاصر نفسه على تشييد « لؤلؤة الحب » حفر لها أساس شق بين صخور فى مكان تلوح للناظر منه الثلوج المخيفة التى تكلل الجبال ... وعلى مقربة كانت تظهر بعض القرى والتلال ونهر كثير التعاريج ، وبعيداً قامت ثلاث مدن عظيمة .

وضع النعش الرخامى المعرق فى بناية شيدت بمهارة وأحيطت بعمد من حجارة جميلة غريبة المنظر، وبجدران تجلى فيها النقش ، لكنها لم تلق قبولا لدى خيال الأمير الآخذ بالاتساع ، فأمر بهدمها

فالأمير لم يعد باليافع الرشيق الحركة الذى أحب مليكته الصبية ، فقد أضحى الآن رجلا عبوساً لايستوطى الراحة منكباً على بناء « لؤلؤة الحب » . وأخذت السنوات المليئة بالعناء تكسبه خبرة فى فن البناء ... ورهف ذوقه للألوان ، وغدا قليل الاهتمام للتزويق والتزيين ، وكنت تسمعه يردد : « هـذه أشياء كانت بديعة » . وشاهد الناس « لؤلؤة الحب » تعلو من طور الإنشاء إلى علو شاهق فى عظمة وأبهة وجلال ، فهم لم يكونوا يعرفون ما ذا يتوقعون ، لكنهم على كل حال لم يتوقعوا أن يشاهدوا مثل هذا السمو، وكانوا يقولون هامسين : « غريبة تلك العجائب التى يبدعها الحب » ! وأحبت جميع نساء العالم الأمير لولائه العميق ولوجده الدفين

ولم يأل الأمير جهداً فى التبديل والتجميل ، وإنما كان هناك شيء من النشوز فى التابوت ، إنه لم يكبر منذ الأيام الأولى للكارثة ، فبان أشبه بمستطيل صغير يجثم دون تناسب وسط « لؤلؤة الحب » الهائلة . وفى ذلك التابوت كانت علبة الرصاص والفضة الكبيرة الحاوية لجسد من أوحت بهذا الفن

وقف الأمير طويلا يتأمل وينعم النظر ، ولكن أحداً ما كان ليدرك ما ذا يجول بفكره ، وما ذا يستقر فى خياله ؟ !

وأخيراً ... تكلم مشيراً إلى « لؤلؤة الحب » وقال : اهدموها !

(بيت لحم — فلسطين) **عيسى سليم**